(في) بمعنى (على) في التعبير القرآني

بين التفسير العقليّ والإعجاز البياني

الكلمات المفتاحية
(تناوب ، حروف الجر ، تضمين ، نقض)

(In) the sense (on) in the QuranicexpressionBetween mental interpretationand graphic miracles

أ .م. د. جاسم محمد عبد العبود
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

أ .م .د . جنان ناظم حميد
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

ملخص البحث

تعدّ مسألة تناوب حروف الجر من مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين ، فالقول بجواز قيام بعض الحروف مقام بعض هو قول الكوفيين، على حين رفض البصريون أن يكون حرف الجر نائبا عن حرف آخر في أصل وضعه وأحالوا المسألة إلى السياق الذي قد يضمن فيه الفعل معنى فعل آخر يعدى بحرف الجر الظاهر في السياق ظهورا يبدو غير مألوف مع الفعل.

ولكثرة أمثلة هذه الظاهرة لدى المفسّرين وتعدّد أوجهها وتنوع أنماطها آثرنا الوقوف عند نمط واحد منها هو مجيء (في) بمعنى (على) لبسط القول من خلاله في ظاهرة النيابة الحرفية تأصيلا وتحليلا ونقضا وبناءً. وأحصينا اثنتي عشرة آية قرآنية فُسّر فيها حرف الجر (في) بأنه ينوب عن (على) فرتّبناها بحسب ورودها في المصحف الشريف وحللناها تحليلا بيانيا يحفظ للنص القرآني لفظه كما هو بين الدفتين فلا يقال: إن حرف الجر الظاهر بمعنى آخر خفيّ، ولا يقال: إن الفعل الوارد في السياق مضمَّن معنى فعل آخر.

والبحث محاولة رائدة لنقض النيابة الحرفية في القرآن الكريم وذلك برد الرأي الكوفي القائل بالنيابة الحرفية ونقض الرأي البصري القائل بالتضمين، وعضد البحث فكرته الرئيسة هذه بسرد أقوال المفسرين والنحويين في اثنتي عشرة آية قرآنية وجّه فيها حرف الجر (في) بأنه نائب عن حرف الاستعلاء (على)، ففنّد البحث القول بهذا النمط من النيابة الحرفية مرجحا بقاء حرف الجر (في) على بابه الرئيس من الدلالة على الظرفية الحقيقية أو المجازية ، ففي قوله تعالى : (ولأصلّبنّكم في جذوع النخل) خلص البحث إلى أنّ المراد بالجذوع أسافل النخل لا سيقانها الضخمة التي تحمل الرأس ومن ثم يكون التصليب فيها ظاهرا حقيقة دونما مجاز ولا تضمين أو تحوّل في مدلول حرف التعدية . وأما تلك السيقان الضخمة التي يعتمد عليها رأس النخلة فقد سمّاها القرآن الكريم أعجاز النخل كما في مشاهد القصص القرآني لهلاك قوم عاد في سورتي [القمر: ٢٠] و [الحاقة: ٧]. والله وليّ التوفيق يفعل ما يشاء ويحكُم ما يريد.

Abstract

A summary of the search a matter of rotation prepositions of the issues of disagreement between passport a certain letters and serves as some of it is say ,while refusal to be a preposition vice for another character in the origin of his matter to context, which may ensures the verb meaning did last infected with a letter traction apparent in the context visible seems unfamiliar with the Act examples of this phenomenon has and multi and diversity stand at the pattern of one of which is the coming of (in) the sense (a) to extend to say where in the phenomenon of prosecution craft analyasis building twelve verse quranice interpreted the preposition (in) as a representative for (a) as the aer received in the Holy Quran an analysis of of graphically saves the text qur'anicas between there is said: the preposition apparent in other words hidden, nor is said: the verb contained in the context of a built-meaning did last. And look for an attempt to a leading prosecution craft in the Holy Quran with cold opinion script view on behalf of craft opinion optical view find his idea main this list the words of n twelve verse qur'anic the face of the preposition (in) as vice for character search to say this style of prosecution craft likely survival preposition (in) on the door President of

significance to situational real or in meaning:trunks Palm) concluded find out that you want to

Palms no mega-bearing the head and then be the visible fact without metaphor is not included or shift in the meaning of character As for the legs huge depends upon the head of the Palm has called the Holy QuranPalm as in the scenes of stories qur'anic people came back in Surat [the moon: 20] and God and me luck to .do what he wants governed what he wants

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين ومن صحبه بإحسان إلى يوم الدين وبعدُ.

فتعدّ ظاهرة نيابة حروف الجر بعضها عن بعض خصيصة مميزة من خصائص العربية وضربا من المجاز في اللغة يُفضي إلى باب التوسع في المعنى. ولا تقف أمثلتها عند حروف الجرّ بل تشمل الأدوات النحوية كلها فضلا عن سائر أنماط الكلام من جمل وأساليب وتراكيب، ولكن تلك الأمثلة التي احتدمت في كتب التفسير والنحو وردت دون ضوابط محدّدة أو مقاييس قاطعة. وفي الأعم الأغلب كان الاستحسان هو الفيصل في الحكم عليها بالتوسع. ومعلوم ان ما يستحسن لدى عالم معيّن قد يستقبح عند غيره ومن هنا وقع الخلاف بين علماء المدرستين بشأن تناوب حروف الجرّ. إذ تعدّ هذه المسألة من مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين. فالقول بجواز قيام بعض الحروف مقام بعض هو قول الكوفيين، على حين رفض البصريون أن يكون حرف الجر نائبا عن حرف آخر في أصل وضعه وأحالوا المسألة إلى السياق الذي قد يضمَّن فيه الفعلُ معنى فعل آخر يعدّى بحرف الجر الظاهر في السياق ظهورا يبدو غير مألوف مع الفعل.

ولم تقف أمثلة هذه الظاهرة عند النحويين بل شاعت لدى مفسري القرآن الكريم ومعربيه إذ يرد في التعبير القرآني فعل يُعدَّى بغير فعل التعدية المعروف معه في العربية ، فيلجأ فريقٌ منهم إلى أن يقول : معنى حرف التعدية هذا يُراد به معنى حرف غيره ، فقد يراد بـ(على) معنى (من) ، أو يؤدّي (إلى) معنى (على) أو ينوب (في) عن (على) ،ونحو هذا ممّا كثُرت أمثلته وتوالت شواهده وتعدّدت مصطلحاتُه وتنوّعت أنماطه بين حروف الجرّ جميعها ، حتّى لا يكاد يسلم حرفٌ واحد في التعبير القرآني على دلالته الرئيسة التي عُرف بها دون أنْ يقال : إنّه ينوب عن غيره أو يؤدّي معنى

حرف آخر .ومن ثمّ صارت المسألة ظاهرة لدى المحدثين فألّفوا فيها كُتبا تحمل عنوان (ظاهرة تناوب حروف الجر) أو (ظاهرة التضمين) ، فتعدّدت المصطلحات تبعا للخلاف بين الفريقين في هذه المسألة ، أينوب حرف الجر عن غيره أم إنّ الفعل هو الذي يضمّن معنى آخر فيُعدَّى تعديته ؟.

ولكثرة أمثلة هذه الظاهرة لدى المفسّرين وتعدّد أوجهها وتنوع أنماطها آثرنا الوقوف عند نمط واحد منها هو مجيء (في) بمعنى (على) لبسط القول من خلاله في ظاهرة النيابة الحرفية تأصيلا وتحليلا ونقضا وبناءً. وأحصينا اثنتي عشرة آية قرآنية فُسّر فيها حرف الجر (في) بأنه ينوب عن (على) فرتّبناها بحسب ورودها في المصحف الشريف وحللناها تحليلا بيانيا يحفظ للنص القرآني لفظه كما هو بين الدفتين فلا يقال: إن حرف الجر الظاهر بمعنى آخر خفيّ، ولا يقال: إن الفعل الوارد في السياق مضمّنٌ معنى فعل آخر.

وليس ثمة إجماعٌ على القول بالنيابة الحرفية أو التضمين في الآيات المنتخبة للدراسة التي وُجِّه فيها حرف الجر (في) بمعنى (على)، إذ غالبا ما يردُ الرأي الراجح الذي يحمل الكلام على معنى الظرفية مبثوثا بين جملة آراء هيمنت عليه، فيكفي لكشف اللثام عن ذلك الرأي الراجح تبيانُ الفروق الدلالية بين الظرف والاستعلاء اعتمادا على المعنى العام المحصّل من مجمل التعبير القرآني الذي صُرف فيه حرف الجر (في) عن معناه الرئيس.

توطئة

معاني (في) بين النحويين والمفسرين

أورد أصحاب كتب الحروف عدّة معان لحرف الجر (في) أوصلها ابن هشام إلى عشرة، وذكر المرادي أنّها تسعة وزاد آخرون أو أنقصوا قليلا. وكرّر المفسِّرون المتأخّرون ما أورده أصحاب كتب الحروف من معاني (في) لمّا وقفوا على قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢] وزادوا على أمثلتهم عدة أمثلة قرآنية لم يذكروها [١]. وما كانت معاني (في) لتتسع لولا إطباقهم على مجيء (في) لغير معنى الظرفية فينوب عن معاني حروف أخرى هي[٢] :

١- المصاحبة بمعنى (مع) في قوله تعالى {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ} [الأعراف: ٣٨]، و {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [القصص: ٧٩]، {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصالحين} [النمل: ١٩] ومثله: {فادخلي فِي عِبَادِي} [الفجر: ٢٩].

٢- التعليل كما في قوله تعالى: {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ} [يوسف: ٣٢]، أي لمتنني بسببه[٣]

٣ـ الاستعلاء بمعنى (على)، وعلى هذا النمط من النيابة الحرفية قام البحث ومن أمثلته المبرزة قوله تعالى :{ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } [طه : ٧١] أي على جذوع النخل(٤) .

٤ـ المقايسة ،وهي الداخلة بين مفضولٍ سابقٍ وفاضلٍ لاحقٍ ، في قوله سبحانه : { فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} [التوبة : ٣٨] ،أي أن متاع الحياة الدنيا بالقياس إلى الآخرة قليل(٥) .

٥ـ التوكيد ،وهي الزائدة لغير تعويض، أجاز ذلك الفارسي في الضرورة الشعرية(٦) ، كقول الراجز (٧):

أنا أبو سعد إذا الليل دجا يخال في سواده يرندجا

وعليها حمل الحرف في قوله تعالى: { وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِّ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [هود : ٤١] ، لأن الركوب لا يكون إلا في السفينة ، فلا ضرورة للنص على ذلك إلا من باب التوكيد (٨) .

٦ـ الاستعانة بمعنى الباء كقوله تعالى: { فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى : ١١] ، وهي باء الاستعانة أو السببية (٩).

٧ـ الدخول في الغاية بمعنى (إلى) ، كما في قوله تعالى: {قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِّ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} [النساء: ٩٧]}أي تهاجروا إليها (١٠) و{فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} أي إليها (١١).

٨ـ المجاوزة بمعنى (عن) كقوله تعالى :{وَمَن كَانَ فِي هذه أعمى} [الإسراء : ٧٢]؛ أي عن هذه الآيات أعمى (١٢) .

٩ـ ابتداء الغاية بمعنى (من) كقوله تعالى :{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ }[النحل : ٨٩] أي : مِنْ كل أمة (١٣) .وقوله تعالى: {أَلاَّ يَسْجُدُوا للهِّ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [النمل : ٢٥] فالخبء هو "البذر ينزل من السماء ويخرج من الأرض"(١٤)، وقول امْرُئ الْقَيْس (١٥):

وَهل ينعمن من كَانَ أقرب عَهده ثَلاثُونَ شهرا فِي ثَلاثَة أحْوَال

أي من ثَلاثَة أحْوَال (١٦) .

١٠ـ المكان بمعنى (عند) قال تعالى: { كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا }[هود : ٦٢]. أي، عندنا(١٧).

١١ـ الجهة بمَعْنى نَحْو كما في قوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ}[البقرة: ١٤٤] أي نحوها (١٨).

١٢ـ الظرفية ،وهو أشهر معنى لـ (في) لدى النحويين والمفسرين (١٩) ،سواء كانت الظرفية حقيقة كقوله تعالى: {غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِّ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ } [الروم :٢- ٤] ، أو مجازاً نحو { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة : ١٧٩] و { لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ} [يوسف :٧ و{ وَإِذْ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الأنعام : ٧٤] (٢٠).

وعلى هذا المعنى الرئيس تحمل دلالة الحرف (في) في الأمثلة كلّها التي ذكرت شواهد لنيابة (في) عن (على) أو تضمين الفعل المعدّى بـ(في) معنى آخر متعدّ بـ(على) وقد أحصيت من تلك الآيات اثنتي عشرة آية ورد فيها حرف الجر (في) مؤولا بالنيابة عن حرف الاستعلاء (على) ، وتلك الآيات في المطالب الآتية :

١-قال تعالى :{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران : ٢٧]

أطبق المفسّرون على إنّ معنى الآية " تجعل ما نقص من أحدهما زيادة في الآخر. والإيلاج: الإدخال، يقال: أولجت الشيء في الشيء، إذا أدخلته فيه" (٢١)وحمل أكثرهم حرف الجر (في) على بابه في الدلالة على الظرفية مفسرين الوُلوجُ بالدخولُ، والإيلاجُ بالإدْخال، ومعنى النقص ملازم لدخول الشيء في الشيء لأنه تبارك وتعالى إذا أدْخَلَ مِنْ هذا في هذا فقد نَقَصَ من المأخوذِ منه المُدْخَلُ في ذلك الآخر. ومعنى " تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ يعني ما تنقص فِي الليل داخل فِي النهار حَتَّى يصير الليل تسع ساعات والنهار خمس عشرة ساعة. فذلك قوله- سُبْحَانَهُ- يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ يعنى يسلط النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وهما هكذا إلى أن تقوم الساعة" (٢٢).

ونُقل عن بعضهم أن (في) بمعنى (على) (٢٣) لأن التعبير القرآني فسّر في موضع الإيلاج بالتكوير وعداه بحرف الجر (على) فقال تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} [الزمر: ٥] . وهذه النيابة الحرفية تتسم بالبعد والإيغال في القول بالمترادفات لأن الفرق واضح بين الإيلاج والتكوير ذلك أن التكوير يعني أن يغشى الليل النهار في موضع من الأرض ويغشى النهار الليل في موضع آخر قباله في الجهة الأخرى من الأرض التي هي كالكرة فتكون مواضع التداخل بين الليل والنهار في مواضعها تكويرا لأحدهما على الآخر ، أما الإيلاج فصورة أخرى تصف الحركة الدائبة لليل والنهار والتتابع بينهما من موضع إلى آخر في جميع أرجاء الأرض ففي الوقت والمكان المحددين اللذين يدخل فيهما الليل في النهار ثمة زمان ومكان آخرين يدخل فيهما النهار على الليل فيتجدد الليل والنهار على أرجاء الأرض بحسب حركتها الدائبة حول الشمس ،والمحصل من هذه الحركة الدائبة التي يتداخل فيها الجديدان أن تتعدد المشارق والمغارب لأهل الأرض بحسب اختلاف أمكنتهم ولذا قال {فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ} [المعارج : ٤٠] فمشارق الشمس تختلف على أهل الأرض كل يوم من موضع فيها إلى آخر وتختلف كذلك على مدار السنة للتباين في مدة الليل والنهار تبعا إيلاج أحدها في الآخر وتكوير أحدهما على الآخر .

٢-قال تعالى:{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف :١٤٨-١٤٩](٢٤).

المفسرون "اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ أَنَّهُ اشْتَدَّ نَدَمُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ" (٢٥) ، ولكنهّم اختلفوا في تعيين الفاعل المحذوف بعد بناء (سُقط) للمجهول، ومجمل ما قيل في تأويل دلالة هذا التركيب قولان ؛ أولهما لطائفة من المفسّرين ذكروا أنّ مِنْ عادةِ النَّادمِ أن يطأطئ رَأسَهُ ، ويضع ذِقنه على يده معتمداً عليها ،ويصيرُ على هيئةٍ لو نُزعت يده لسَقط على وجهه ، فكأنَّ اليدَ مَسْقُوطٌ فيها. ومعنى (في أيديهم :على أيديهم) كقوله تعالى :{وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النخل} أي عليها (٢٦) والآخر :لأكثرهم وفيه حُمل الكلام على معنى الظرفية لا الاستعلاء واختلفوا - أيضا- في تعيين الفاعل مع توجيه الكلام على الظرفية .إذ حمل الزجاج الكلام على التشبيه بين اليد والقلب، فأصل المعنى سقط الندم في قلوبهم وأنفسهم ،وإنّما ذكر اليد تشبيهاً لما يحصل في القلب والنفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين، فتكون (في) ظرفية لا استعلائية (٢٧)وهذا الوجه شائع لدى كثير من المفسرين والمعجميين(٢٨)ويبدو أن التشبيه فيه مرتجل فلم تألف العرب تشبيه ما يجري في الجوارح الظاهرة بما جرى في الخواطر الخفيّة فهو من نوع التشبيه المقلوب ،ولذا نقل عن الزجاجي أنه شايع شيخه فرأى أنّ " سُقِط في أيديهم نَظْم لم يسمع قبل القرآن، ولا عَرَفَتْهُ العرب، ولم يوجد ذلك في أشعارهم "(٢٩) .

وعضد الواحدي قول الزجاجي بأن "الذي يدل على ذلك أن شعراء الإسلام لما سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم، خفي عليهم وجهُ الاستعمال، لأن عاداتهم لم تَجْرِ به، فقال أبو نواس(٣٠) :

ونَشْوَة سُقِطْتُ مِنْهَا في يدي

وأبو نُوَاس هو العالم النحرير ،فأخطأ في استعمال هذا اللفظ، لأن فُعِلْتُ لا يبنى إلا من فعلٍ يتعدَّى، لا يقال رُغِبْتُ ولا يقال غُضِبْت، وإنما يقال: رُغِبَ فيَّ وغُضِبَ عليَّ " (٣١).

وساق الواحدي أقوالا أخرى في تأويل فاعل السقوط في اليد منها أنّ (سُقط) مأخوذٌ من السَّقيط ،وهو ما يُغَشِّي الأرض من الجَلِيدِ يُشْبِه الثَّلْج .يقال منه :سَقَطَت الأرْضُ كما يُقَال : ثلجت، والسَّقْطُ والسَّقِيطُ يدُوبُ بأدْنَى حرارةٍ ولا يبقى .ويقال (سُقط في يد فلان) بمعنى وقع في يده السَّقِيط ولمْ يَحْصُل من بغيته على طائلٍ (٣٢) .

وحمل الزمخشري الكلام على الكناية وذلك أنهم " اشتدّ ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأنّ من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعضّ يده غمًّا فتصير يده مسقوطاً فيها لأنّ فاه قد وقع فيها و(سُقط) مسند إلى {في أيديهم}"(٣٣) .فكأنّ المراد :سَقط العضّ في أيديهم(٣٤) .

وأوّل ابن عطية فاعل السقوط بالسعي أو الطلب ،ومعنى الكلام أنّ "العرب تقول لمن كان ساعياً لوجه أو طالباً غاية ما ،فعرضه ما غلبه وصده عن وجهته وأوقفه موقف العجز عن بغيته وتيقن أنه قد عجز :سقط في يد فلان "[٣٥] أي أن السعي سَقط في يد المشار إليه فصار في يده لا يجاوزها ولا يكون له في الخارج أثر.

وجوز الرازي أن يكون فاعل سقط هو نفس الساقط ،إذ المراد بالسقوط " عبارة عن نزول الشيء من أعلى إلى أسفل ، ولهذا قالوا سقط المطر ، ويقال : سقط من يدك شيء وأسقطت المرأة ، فمن أقدم على عمل فهو إنما يقدم عليه لاعتقاده أن ذلك العمل خير وصواب ، وأن ذلك العمل يورثه شرفاً ورفعة ، فإذا بان له أن ذلك العمل كان باطلاً فاسداً فكأنه قد انحط من الأعلى إلى الأسفل وسقط من فوق إلى تحت ، فلهذا السبب يقال للرجل إذا أخطأ : كان ذلك منه سقطة ، شبهوا ذلك بالسقطة على الأرض ، فثبت أن إطلاق لفظ السقوط على الحالة الحاصلة عند الندم جائز مستحسن ، بقي أن يقال : فما الفائدة في ذكر اليد؟ فنقول : اليد هي الآلة التي بها يقدر الإنسان على الأخذ والضبط والحفظ ، فالنادم كأنه يتدارك الحالة التي لأجلها حصل له الندم ويشتغل بتلافيها ، فكأنه قد سقط في يد نفسه من حيث أن بعد حصول ذلك الندم اشتغل بالتدارك والتلافي " [٣٦] .

ويبدو أن قول الرازي أبين ما قيل في تأويل دلالة العبارة تأويلا يحفظ لحرف الجر (في) معنى الظرفية ولا يصرفه إلى الاستعلاء ذلك أنّ {سُقط في أيديهم} كلمة أجراها القرآن مجرى المثل إذ نظمت بإيجاز بديع وكناية واستعارة ،فإن اليد تستعار للقوة والنصرة إذ بها يُضرب بالسيف والرمح ،ولذلك حين يَدْعون على أحدهم بالسوء يقولون : (شُلَّتْ يدُك)، وهي آلةُ القدرة كما في قوله تعالى:{اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ١٧] ، والمرء إذا حصل له شلل في عضده ولم يستطع تحريكه يحسن أن يقال : سَقط في يده ساقط ، أي نزل به نازل .ولما كان ذكر فاعل السقوط المجهول لا يزيد على كونه مشتقاً من فعله ،ساغ أن يُبنى فعله للمجهول فمعنى (سُقط في يده) سَقط في يده ساقِط فأبطل حركة يده، إذ المقصود أن حركة يده تعطلت بسبب غير معلوم. وخُصّت اليد بالذكر لسببين أولهما: إنّ " مباشرة الذنوب بها فاللائمة ترجع عليها لأنها هي الجارحة العظمى فيسند إليها ما لم تباشره كقوله تعالى {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ } [الحج : ١٠] ... والوجه الآخر إنّ الندم حدث يحصل في القلب وأثره يظهر في اليد لأن النادم يعض يده ويضرب إحدى يديه على الأخرى كقوله تعالى : { فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا}[الكهف: ٤٢]"[٣٧] .

واستعمل التعبير القرآني هذا التركيب بمعنى الندم وتبيُّن الخطأ لهم ، فهو تمثيل لحالهم بحال من سُقط في يدِه حين العمل. فالمعنى أنهم تبين لهم خطأهم وسوء معاملتهم ربهم ونبيهم ، فالندامة هي معنى التركيب كله، وأما الكناية فهي في بعض أجزاء المركب وهو سقط في اليد[٣٨].

٣-قال تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}[الأعراف:١٨٧]**(٣٩) .

أصل الثقل أن يتعدّى بعلى يقال: ثقل عليّ هذا الأمر(٤٠) ،وفي {ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}. إمّا أن يُدّعي أنّ (في) بمعنى (على) أو يضمّن (ثقلت) معنى فعل يتعدّى بـ (في) . وأكثرهم على أن (في) بمعنى (على) بعد أن نقلوا عن أهل التأويل عدّة أوجه تبرّز معنى الاستعلاء دون الظرفية في ثقل الساعة على أهل السموات والأرض(٤١) ،فنُقل عن ابن عباس أن المراد هو ثَقُل وقوعها على أهل السماوات والأرض، لأن الكلَّ يخافونها، مُحسنهمومسيئهم(٤٢)، ونقل مثل هذا عن الحسن البصري فأوّل الثقل بمعنى العظمة والشدة والمراد أن الساعة عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها فهذا اليوم ثقيل جدًّا على السمواتِ والأرض؛ لأنَّ فيه فناءَهم وذلك ثقيل على القلوب(٤٣)، ونقل عن ابن جريج أن الساعة ثَقُلَت على السماوات والأرض أنفسهما ؛ لتبدلُّهما وتغيُّر حالهما. فإذا جاءت الساعة انشقت السماء ،وانتثرت النجوم، وكوِّرت الشمس، وسُيِّرت الجبال، وكان ما قال الله؛ فذلك ثقلها(٤٤) .

وأما تضمّن الثقل معنى فعلٍ يُعدّى بحرف الجر (في) فيعضده ما نقل عن السديّ وقتادة ومقاتل تأويلهم الكلام تأويلا يحافظ على معنى الظرفية وذلك أنّ (ثقلت) معناه (خفيت في السماوات والأرض) فلم يعلم أحدٌ من الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين متى تكون وما خفي أمره في النفس ثقل عليه(٤٥) .

واختار الطبري هذا الوجه فقال : " أولى ذلك عندي بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها، أن يعرفوا وقتها وقيامها؛ لأن الله أخفى ذلك عن خلقه، فلم يُطلع عليه منهم أحدًا. وذلك أن الله أخبرَ بذلك بعد قوله : { لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ } ، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة ، فالذي هو أولى: أن يكون ما بين ذلك أيضًا خبرًا عن خفاء علمها عن الخلق ، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك "(٤٦) .

وجمع الزمخشريّ الظرفية والاستعلاء في تأويل دلالة التركيب فقال : " أي كلّ من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة وودّ أن يتجلى له علمها وشقّ عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيهما لأن أهلهما يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها أو لأنّ كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيهما "(٤٧) .

ويبدو أنّ الثقل المذكور في الآية مستعار للمشقة والشدّة ،لأنّ شدة وقع الشيء في النفوس ومشقته عليها تخيّل لمن حلت به أنه حامل شيئاً ثقيلاً ، ومنه قوله تعالى : { **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** } [المزمل : ٥] أي شديداً تلقيه وهو القرآن ،ووصف الساعة بالثقل باعتبار ما هو مظروف في وقتها من الحوادث ، فوصفها بذلك مجاز عقلي ، والقرينة هي كون الثقل بمعنى الشدة لا يكون وصفاً للزمان ، ولكنه وصف للأحداث ، فإذا أسند إلى الزمان ، فإسناده إليه إنما هو باعتباره ظرفاً للأحداث ، كقوله : { **وقالَ هذا يومٌ عَصيبٌ** } [هود : ٧٧] . فثقل الساعة معناه شدتها وعظم ما يحدث فيها من

الحوادث المهولة في السماوات والأرض ، من تصادم الكواكب ، ومن زلازل الأرض وفيضان البراكين ، والبحار ، وجفاف المياه ، ونحو ذلك مما ينشأ عن اختلال النظام الكونيّ . وتعدية فعل { ثَقُلت } بحرف الظرفية الدال على مكان حلول الفعل ، وترك ما حقه أن يتعدى إليه وهو حرف (على) الذي يدل على ما يقع عليه الفعل ، للدلالة على عموم كل ما تحويه السماوات والأرض مما يقع علية الثقل [٤٨]، فآثر استعمال (في) دون (على) للمبالغة في إخفاء الساعة في الظرفين السماوات والأرض .

٤-قال تعالى :{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ}[هود: ١١٠].

لما جوّزوا عود الضمير في (فيه) على موسى والكتاب معًا جوزوا في دلالة حرف الجر (في) أن يكون دالا على الظرفية أو على الاستعلاء تبعًا لعائد الضمير المتَّصل فيه . فقال أبو حيان في تفسير الآية : " ضَرَبَ لِذَلِكَ مَثَلاً وَهُوَ: إنْزَال التَّوْرَاةِ عَلَى مُوسَى فَاخْتَلَفُوا فِيهَا. وَالْكِتَابُ هُنَا التَّوْرَاةُ، فَقَبِلَهُ بَعْضٌ، وَأَنْكَرَهُ بَعْضٌ، كَمَا اخْتَلَفَ هَؤُلاءِ فِي الْقُرْآنِ. وَالظَّاهِرُ عَوْدُ الضَّمِيرِ فِيهِ عَلَى الْكِتَابِ لِقُرْبِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَعُودَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ. وَيَلْزَمُ مِنَ الاِخْتِلاَفِ فِي أَحَدِهِمَا الاِخْتِلاَفُ فِي الآخَرِ. وَجُوِّزَ أَنْ تَكُونَ فِي بِمَعْنَى عَلَى، أَيْ: فَاخْتُلِفَ عَلَيْهِ، وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ تَعَنُّتًا عَلَى مُوسَى وَأَكْثَرَ اخْتِلاَفًا عَلَيْهِ" [٤٩]وقريب منه قول الثعالبي : "قوله: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ: أي: اختلف الناسُ عَلَيْه، فلا يَعْظُم عليك، يا محمَّد، أمْرُ مَنْ كذَّبك. وقال: (فيه) :الظاهرُ عودُهُ على الكتاب، ويجوزُ أنْ يعود على موسَى، وقيل: (في) بمعنى (على) ،أي: عليه "[٥٠]، وجاء في تفسير اللباب "قوله: {فاختُلف فِيهِ} أي: في الكتابِ، و (في) على بابها من الظَّرفية، وهو هنا مجاز، أي: في شأنه. وقيل: هي سببية، أي: هو سببُ اختلافهم، كقوله تعالى: {يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ} [الشورى: ١١] أي: يُكثِّرهم بسببه. ومعنى اختلافهم فيه: أي: فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن، يُغَزِّي نبيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقيل: (فِي) بمعنى (عَلَى) ويكون الضَّمير لموسى - عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَمُ - أي: فاختُلف عليه "[٥١] .

وأكثرهم لم يحتمل دلالة (في) على الاستعلاء في هذه الآية وقطع بأن دالة على الظرفية لا غير وأن الهاء فيها عائدة على الكتاب وهو التوراة ، فذكر الطبري أن التعبير القرآني جاء " مسليًا نبيه في تكذيب مشركي قومه إياه فيما أتاهم به من عند الله، بفعل بني إسرائيل بموسى فيما أتاهم به من عند الله. يقول له تعالى ذكره: ولا يحزنك، يا محمد، تكذيب هؤلاء المشركين لك، وامض لما أمرك به ربُّك من تبليغ رسالته، فإن الذي يفعل بك هؤلاء من ردِّ ما جئتهم به عليك من النصيحة من فعل ضُربائهم من الأمم قبلهم وسنَّةٌ من سُنتهم. ثم أخبره جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به فقال: (ولقد آتينا موسى الكتاب) ، يعني: التوراة، كما آتيناك الفرقان، فاختلف في ذلك الكتاب قومُ موسى، فكذّب به بعضُهم وصدّق به بعضهم، كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به، وتكذيب بعض"[٥٢].

والأظهر أن يعود ضمير الهاء على القريب وهو كتاب التوراة فيكون الاختلاف فيه لا عليه " وَمَعْنَى الاِخْتِلاَفِ فِيهِ اخْتِلاَفُ أَهْلِ التَّوْرَاةِ فِي تَقْرِيرِ بَعْضِهَا وَإِبْطَالِ بَعْضٍ، وَفِي إِظْهَارِ بَعْضِهَا وَإِخْفَاءِ بَعْضٍ مِثْلَ حُكْمِ الرَّجْمِ، وَفِي تَأْوِيلِ الْبَعْضِ عَلَى هَوَاهُمْ، وَفِي إِلْحَاقِ أَشْيَاءَ بِالْكِتَابِ عَلَى أَنَّهَا مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [الْبَقَرَة: ٧٩] .فَهَذَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَقَعَ مِنْ بَعْضِهِمْ لاَ مِنْ جَمِيعِهِمْ فَيَقْتَضِي الاِخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ بَيْنَ مُثْبِتٍ وَنَافٍ، وَهَذَا الاِخْتِلاَفُ بِأَنْوَاعِهِ وَأَحْوَالِهِ يَرْجِعُ إِلَى الاِخْتِلاَفِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكِتَابِ. فَجُمِعَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي جَمْعًا بَدِيعًا فِي تَعْدِيَةِ الاِخْتِلاَفِ بِحَرْفِ (فِي) الدَّالَّةِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ الْمَجَازِيَّةِ وَهِيَ كَالْمُلاَبَسَةِ، أَيْ فَاخْتُلِفَ اخْتِلاَفًا يُلاَبِسُهُ، أَيْ يُلاَبِسُ الْكِتَابَ" [٥٣].

٥- قال تعالى:**{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [إبراهيم : ٩] .**

اختلفوا في تلمس دلالة حرف الجر (في) في **(فردّوا أيديهم في أفواههم)** على أربعة أقوال:

الأول :أن تكون (في) بمعنى (على) والمعنى أنهم رَدُّوا أيديَهم على أفواههم ضحكاً واستهزاءً[٥٤] .

الثاني :أن تكون (في) بمعنى (إلى) والمعنى أنهم أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقوا به من قولِهم: إنَّا كَفَرْنا [٥٥].

الثالث :أن تكون (في) بمعنى الباء ،إذ وجد الفرّاء من العرب مَنْ يجعل (في) في موضعَ الباء. يُقال: أدْخَلَكَ بالجنَّة، وفي الجنَّة، وأنشَد[٥٦] :

وأرغَبُ فيها عن لَقيطٍ ورَهْطِهِ ولكنَّني عن سِنْبسٍ لستُ أرغبُ

أي: أرغب بها [٥٧].

الرابع: أن تكون (في) على بابها في الدلالة على الظرفية والمعنى أن الكفار ردّوا أيديَهم في أفواههم من الغيظ فكلّ من واو الجماعة والأيدي والأفواه عائدة على الكفار. ورأى أبو عبيدةَ أن هذا الخطاب ضَرْبُ مَثَلٍ، تقول العرب: "رَدَّ يَدَه في فيه" ، إذا أمسكَ عن الجوابِ[٥٨]، واختار النحاس هذا الوجه وذكر أن معنى ردّ الأيدي في الأفواه هو كناية عن عضّها من شدّة الغيظ وذكر أن " الدليل على صحة هذا القول قوله عز وجل **{**وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ**}** [آل عمران : ١١٩] قال الشاعر[٥٩] :

لو انّ سلمى أبصرت تخددي ودقّةً في عظم ساقي ويدي
وبعد أهلي وجفاء عودي عضّت من الوجد بأطراف اليد " (٦٠)

وجوّز بعضهم أن يكونَ واو الجماعة للكفار والأفواه والأيدي للرسل، على أن يُراد بالأيدي النِّعَم، أي: رَدُّوا نِعَمَ الرُّسُل وهي نصائحُهم في أفواهِ الرسل، لأنّهم إذا كَذَّبوها كأنهم رَجَعوا بها من حيث جاءَتْ على سبيل المثل (٦١).

والأظهر أن يكون حَرْفُ (فِي) لِلظَّرْفِيَّةِ الْمَجَازِيَّةِ الْمُرَادِ بِهَا الضحك والسخرية " فَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ رَدُّ الأَيْدِي فِي الأَفْوَاهِ تَمْثِيلاً لِحَالِ الْمُتَعَجِّبِ الْمُسْتَهْزِئ، فَالْكَلاَمُ تَمْثِيلٌ لِلْحَالَةِ الْمُعْتَادَةِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَتُهُ، لأَنَّ وُقُوعَهُ خَبَرًا عَنِ الأُمَمِ مَعَ اخْتِلاَفِ عَوَائِدِهِمْ وَإِشَارَاتِهِمْ وَاخْتِلاَفِ الأَفْرَادِ فِي حَرَكَاتِهِمْ عِنْدَ التَّعَجُّبِ قَرِينَةٌ عَلَى أَنَّهُ مَا أُرِيدَ بِهِ إِلاَّ بَيَانٌ عَرَبِيٌّ"(٦٢).

- قال تعالى٦- : قال تعالى :**{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف: ٤٢]**

ذكروا في تفسير هذه الآية "أنَّ الله تعالى أرسل عليها -الجنة- ناراً، فأهلكتها وغار ماؤها، {فَأَصْبَحَ} صاحبها الكافر {يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ} ، أي: يصفِّق بيديه، إحداهما على الأخرى، ويلقّب كفَّيه ظهراً لبطن؛ تأسُّفاً وتلهُّفاً {عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ} ساقطة {على عُرُوشِهَا} سقوفها، فتسقَّطت سقوفها، ثمَّ سقطت الجدران عليها. ويمكن أنَّ يكون المراد بالعروش عروش الكرم، فتسقط العروش، ثم تسقط الجدران عليها"(٦٣) .

وذهب فريق من المفسرين من ذوي الاتجاه الكوفي أن حرف الجر (فيها) ليس دالا على الظرفية بل معدول عنها إلى معنى الاستعلاء فهو بمعنى (على) فقال الثعلبي : معنى" يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ: يصفق يده على الأخرى، وتقليب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهّفا عَلى ما أَنْفَقَ ، فِيها يعني: عليها ، كقوله: (وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) أي عليها "(٦٤) .

وقال ابن الجوزي :معنى " فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ أي: يضرب بيد على يد، وهذا فعل النادم، عَلى ما أَنْفَقَ فِيها أي: في جنّته، و (في) ها هنا بمعنى (على) " (٦٥) .

وأشار أبو حيان إلى هذا الوجه وعده زعما فقال: هذا هو " الاتِّسَاعُ في جعل (في) بِمَعْنَى (عَلَى) ، عَلَى قَوْلِ مَنْ زَعَمَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ أَيْ عَلَى النَّهَارِ، وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ أَيْ عَلَى اللَّيْلِ. وَعَبَّرَ بِالإِيلاَجِ عَنِ الْعُلُوِّ وَالتَّغْشِيَةِ"(٦٦) .

ولم يرتض أكثرهم إخراج (في) عن معنى الظرفية نحو الاستعلاء فرأى الزمخشري أن التعبير القرآني إنما آثر (في) على (على) ليس من باب تناوب حروف الجر بل من باب التضمين لأن تقليب الكف كناية عن الندم والإنفاق إنما يكون في عمارة الجنة لا عليها فقال: " تقليب الكفين : كناية عن الندم والتحسر ، لأنّ النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن ، كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ، ولأنه في معنى الندم عدّى تعديته بعلى ، كأنه قيل : فأصبح يندم) عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا (أي أنفق في عمارتها) وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا (يعني أنّ كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض

، وسقطت فوقها الكروم" [٦٧]، وشايع فريق من المفسرين الزمخشري في قوله هذا فرددوا عباراته نفسها [٦٨] .

وجوز أبو حيان أن يكون (أصبح) بمعنى الدخول في الصباح وهو الظاهر لديه أو أن يكون بمعنى صار فقال: "الظَّاهِرُ أَنَّ الإِحَاطَةَ كَانَتْ لَيْلاً لِقَوْلِهِ فَأَصْبَحَ عَلَى أَنَّ أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى فَأَصْبَحَ فَصَارَ فَلاَ يَدُلُّ عَلَى تَقْيِيدِ الْخَبَرِ بِالصَّبَاحِ" [٦٩].

وظاهر معنى الظرفية في التعبير (على ما أنفق فيها) سواء كانت (ما) مصدرية أم موصولة ففي كلا الوجهين يظهر معنى الظرفية في التقديرين : (على إنفاقه في عمارتها) أو (على الذي أنفقه في عمارتها من المال) وسياق القصة يكشف عن معنى الظرفية أيضا لأن صاحب الجنة كان قد قال (ما أظن أن تبيد هذه أبدا) فلما ظهر سرعة هلاكها ندم على ما صنع وتحسر على إنفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال [٧٠]، ويفاد من اقتران الفاء في الفعل (فأصبح) أن إهلاكها واستئصال نباتها وأشجارها كان سريعا خاطفا بآفة سماوية ولم يكن تدريجيا بإذهاب الماء وهذه الآفة المهلكة هي التي عبر عنها بفعل الإحاطة في ظاهر التعبير القرآني والتحسر يكون لما وقع بغتة . ولا يحتمل سياق المقام أن يكون المراد بالعروش الجدران والسقوف على ما ذُكر آنفا بل المفهوم منه أن الجنة كانت من الأعناب المحفوفة بنخل خاوية أي ساقطة والعروش في الجنة هو ما تصنع من الأعمدة لتوضع عليه الكروم وسقوط الجنة على العروش إنا يكون بفعل سقوط الأعمدة قبلها وهذا دليل على إن الجنة قد ضربتها ريح عاتية فساوت أشجارها كلها في الأرض وإنما خصت "الكروم بالذكر دون النخل والزرع إما لأنها العمدة وهما من متمماتها وإما لأن الذكر هلاكها على ما قيل مغن عن ذكر هلاك الباقي لأنها حيث هلكت وهي مسندة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الأولى وإما لأن الإنفاق في عمارتها أكثر ثم هذه الجملة تبعد ما روي من أن الله تعالى أرسل عليها نارا فأحرقتها وغار ماؤها " [٧١].

٧-قال تعالى: **{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه: ٧١]**

وفي تأويل دلالة حرف الجرّ في (ولأصلبنّكم في جذوع النخل) خلاف بين الفريقين، لأنّ حمل تعدية فعل التصليب على معنى الظرفية الحقيقية غير مستحصل إلا إذا كان فرعون قد نقّر جذوع النخل حتّى جوّفها ووضعهم فيها فماتوا وهو مقطّعو الأيدي والأرجل جوعا وعطشا. ولا يصحّ هذا لأنّ جذع النخلة لا يتسع ظرفا يستوعب جسم الإنسان بتمامه فضلا عن إنّ معنى الصلب لا يستحصل إلا بشدّ الصُّلب واليدين على الآلة، والدفن في جوف الشجرة لا يسمّى صلبا[٧٢]. والشيء الصُّلب هو الشديد وباعتبار الصلابة والشدة سمّي الظهر صُلبا في قوله تعالى: { يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ } [الطارق:٧] ، والصلب الذى هو تعليق الانسان للقتل ، قيل هو شدّ صلبه على خشب ، وقيل هو من صلب الودك إذا استُخرج من العظم[٧٣].

وشايع أكثر المفسّرين الاتجاه الكوفي[٧٤] في تأويل تعدية التصليب بحرف الجر (في) بأنّه محمول على نيابة (في) عن (على) والمعنى (على جذوع النخل) . وجذع النخلة هو أخشن جذع من جذوع الشجر، والتصليب عليه أشدّ من التصليب على غيره من الجذوع، وأظهر للرائى لعلوّها عن سواها. وفرعون لطغيانه وفجوره اختار أقسى ألوان العذاب ليصبّها على هؤلاء المؤمنين . وإنما صَلحتْ (فى) مكان (على) لأن المصلوب يُرفع على الخشبة فى طولها، أي أنّه يُرفع فيهَا فيصير عَليهَا، وتعدية التصليب بـ(في) أسلوب عربي معروف ومنه قول سويد بن كاهل [٧٥]:

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِيّ فِي جِذعِ نَخْلَةٍ فَلا عَطسَتْ شَيْبان إلا بأجْدَعا

على حين منع فريق من المفسرين من ذوي الاتجاه البصري أن تكون (في) بمعنى (على) في الآية .فحمل الزمخشري التعبير القرآني على الاستعارة والتشبية فقال : " شُبِّه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشيء الموعى في وعائه ، فلذلك قيل : { فِى جُذُوعِ النخل }"[٧٦]، وحمله ابن عطية على التوسّع في معنى الظرف فقال :" قوله { في جذوع النخل } اتّساع من حيث هو مربوط في الجذع وليست على حد قولك ركبت على الفرس"[٧٧]، ونقل الفخر الرازي قول الزمخشري وصرّح بضعف قول الكوفيين مع أنه الأشهر فقال : " شبّه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قال في جذوع النخل والذي يقال في المشهور أنّ في بمعنى على ضعيف"[٧٨]، ثمّ اختار آخرون تأويل الزمخشريّ تعدية التصليب في النخل بتمكن المظروف بالظرف[٧٩] للدلالة على استقرارهم عليها كاستقرار المظروف في الظرف والحالّ في المحلّ[٨٠] ، فالاستعلاء مشبّه بالظرفية ، وتعدية الصلب بـ(في) دون على هو استعارة تبعية في الحرف (في) ،بغية إظهار المصلوب كأنه قد استوعبه جذع النخلة فصار وعاءً له احتواه واضطم عليه . والإتيان بالحرف (في) ؛ للدلالة على إبقائهم عليها زمنًا مديدًا ،تشبيهًا في استمرارهم عليها باستقرار الظرف في المظروف المشتمل عليه[٨١]، فليست (في) بمعنى (على) " لأن على للاستعلاء والمصلوب لا يجعل على رؤوس النخل وإنّما يُصلب في وسطها فكانت (في) أحسن من (على) "[٨٢] .

ورأى بعضهم أنّ الفعل هنا ضُمِّن معنى فعل آخر يتناسب مع حرف التعدية (في) . فضُمِّن التصليب معنى (الغرس) ، فكأنّه قال : لأغرسنّ أبدانكم في جذوع النخل ، أي : أدخلها ، فأفادت الآية أنه لم يُرِدْ - فقط - أن يعلقهم على جذوع النخل ؛ بل إنه يأتي بالمسامير فيغرسها في لحومهم حتى تدخل لحومهم داخل الشجر . فبقي حرف الجر في (في جذوع النخل) على أصله[٨٣]، فالمحصل من الآية أنّ فرعون لم يُرِد التصليب وحده ، لأن التصليب يعني تعليق الجسم بشدّ الظهر وهذا المعنى غير مراد ، وإنما أراد أن يغرس لحومهم في جذوع النخل حتى تصير فيها، فجاء حرف (في) لإفادة هذا المعنى ، ولو قلت : (في) ناب عن حرف (على) ، وأصل الكلام : لأصلبنكم على جذوع النخل ، لما أفدت المعنى المراد ، وقصرت في فهم الآية . ولكن المسامير

هي التي تغرس في الجذوع لا اللحم فمعنى الظرفية على وفق هذا التضمين غير محصل – أيضا- بل المفهوم معنى إحكام التثبيت على الجذوع بالمسامير فضلا عن أن هذا لا يعدو كونه تمثيلا بهم وهم أحياء وتمزيقا لأجسادهم فلا يستحصل معنى التصليب الذي يعني شدّ الظهر .

ولذا كان الأظهر في تأويل هذه الآية هو ما رجحه الدكتور كاطع جارالله من إن جذوع النخل تعني أصوله وأعجاز النخل هي سيقانه " لأنّ البيان القرآني استعمل لفظ (الجذع) بمعنى أصل النخلة الذي يندفع في الأرض لتثبيت النبات وامتصاص الماء ، وهو الذي يعتمد عليه الساق ، على حين استعمل (العجز) بمعنى الساق الضخم الذي يحمل السعف والثمار .فيكون معنى الظرفية واضحا مع التصليب في جذوع النخل لا أعجازها"(٨٤)، ثم ذكر عشر قرائن لفظيّة كلها تعضد هذا المعنى الذي استظهره في التعبير القرآني، ويكفي أن نشير هنا إلى أولها وهي "إن قوم عاد وصفوا في التعبير القرآني بـ **{ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ }** [الفجر : ٧] ، فتعدّدت أقوال أهل التأويل في المراد بـ(إرم) ، لكنّ الصواب من القول في ذلك أن يُقال : إن إرم إمّا بلدة كانت عاد تسكنها، فلذلك ردّت على عاد للإتباع لها، ولم تجر من أجل ذلك، وإما اسم قبيلة فلم يُجر أيضا، كما لا يُجْرى أسماء القبائل ، كتميم وبكر . وأما ذات الْعِمَادِ فالمنقول عن ابن عباس أن معناه : ذات الطول، والعرب تقول للرجل الطويل: رجل مُعَمَّد، وقوم عاد كانوا طوال الأجسام. ونقل عن مجاهد مثله فقال : كان لهم جسم في السماء. وقيل غير هذا كثير لكنّ الأغلب هو توجيه " أهلُ التأويل قوله : (ذَاتِ الْعِمَادِ) إلى أنه عُنِيَ به طول أجسامهم ، وبعضهم إلى أنه عُنِيَ به عماد خيامهم، فأما عماد البنيان، فلا يعلم كثير أحدا من أهل التأويل وجّهه إليه، وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ما وُجد إلى ذلك سبيلٌ دون الأنكر ، ولإبراز معنى الطول في قوم عاد أنّهم لما أهلكوا بالريح الصرصر العاتية شُبّهوا بأعجاز النخل المنقعر تارة ، وأعجاز النخل الخاوية تارة أخرى . ولم يشبّهوا بجذوع النخل لعدم المناسبة بين هؤلاء القوم الطوال الصرعى المطروحين على الأرض وبين جزء النخلة المُنغرس في الأرض ، فقال تعالى **{ وَأَمَا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ }** [الحاقة : ٦ -٧] . وقال تعالى : **{ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ }** [القمر : ١٨ - ٢٠] . فالتعبير القرآني في الآيتين يرسم لوحة لإهلاك قوم عاد تبرِّز أنّ المراد بأعجاز النخل هي سيقانها الضخمة التي تحمل السعف والثمار . فناسب هذا أن يشبّه بها قوم عاد -وهو ذوو العماد والطول -حين صرعتهم الريح الصرصر وطرحتهم في الأرض "(٨٥) .

٨- قال تعالى:**{إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ}** [يس : ٨](٨٦).

ذكر التعبير القرآني أنّ من ضروب عذاب الكافرين يوم القيامة أن تجعل الأغلال في أعناقهم كما في هذه الآية وغيرها كـ [سبأ : ٣٣] و [الرعد : ٥] و[غافر : ٧١] .

وجوّزت طائفة من المفسرين [٨٧] أن يكون حرف الجر (في) في هذه الآيات بمعنى (على) لعدم تحقق معنى الظرفية في التركيب (الأغلال في الأعناق) ،إذ الأعناق جمع عُنُق وهو الجِيد ، والأغلال جمع غُلّ بالضم وهو ما يشد به اليد إلى العنق للتعذيب ، وقد صرح التعبير القرآني في بعض المواضع بأن الأغلال انما تكون على الأجساد لا فيها كقوله تعالى {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}[الأعراف :١٥٧] وذكر الراغب أنّ الغُلّ ما يقيّد به فتُجعل الأعضاء وسطه فهو الظرف لها وتلك الأعضاء ومنها الأعناق مظروفة فيه [٨٨]،ووُصف بأنه حلقة عريضة من حديد كالقلادة ذات أضلاع من إحدى جهاتها وطرفين يقابلان أضلاعهما فيهما أثقاب متوازية تشد الحلقة من طرفيها على رقبة المغلول بعمود من حديد له رأس كالكرة الصغيرة يسقط ذلك العمُود في الأثقاب فإذا انتهى إلى رأسه الذي كالكرة استقرّ ليمنع الغُلّ من الانحلال والتفلّت[٨٩]، وصرح ابن عطيه وغيره بأنّه ما أحاط بالعنق على معنى التثقيف والتضييق والتعذيب والأسر ومع العنق اليدان أو اليد الواحدة[٩٠]، وأصل الغلّ من الغلل وهو تدرّع الشيء وتوسّطه ومنه الغلل للماء الجاري بين الشجر [٩١]، فيكون التركيب على حدّ {لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النخل} أي عليها.

ولم يرتض أكثرهم قبول نيابة (في) عن (على) في هذا التركيب فجوّزوا أوجها أخرى نقضوا بها هذه النيابة .فحمل بعضهم الكلام على القلب أي جعلنا أعناقهم في الأغلال كما يقال :جعلت الخاتم في إصبعي وأصله جعلت إصبعي في الخاتم [٩٢] .

وتلمس بعضهم معنى الظرفية من كون الأغلال ملزوزة إلى الأذقان ،{فهم مُقمَحُون} أي مرفوعة رؤوسهم إلى فوق من قمح البعير إذا روي فرفع رأسه، وهذا لأنّ طوق الغلّ الذي في عُنُق المغلول ، يكون في ملتقى طرفيه ، تحت الذقن ، حلقة ، فلا تخليه يطأطئ رأسه ، فلا يزال مقمحاً . فآثر ذكر (في) للمبالغة في تغلغل الأغلال في الأعناق [٩٣] .

وجوز بعضهم أن يكون الكلام استعارة وتمثيلا وليس حقيقة ، والمراد جعلنا حالهم كحال من في أعناقهم أغلال فهي إلى الأذقان فهم مقمحون ، فشُبهت حالة إعراضهم عن التدبر في القرآن ودعوة الإسلام والتأمل في حججه الواضحة بحال قوم جعلت في أعناقهم أغلال غليظة ترتفع إلى أذقانهم فيكونون كالمقمحين ،أي الرافعين رؤوسهم الغاضّين أبصارهم لا يلتفتون يميناً ولا شِمالاً فلا ينظرون إلى شيء مما حولهم فتكون استعارة وتمثيلا ونقل أبو حيان عن" الْجُمْهُورُ: ذَلِكَ اسْتِعَارَةٌ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ إِسْحَاقَ: اسْتِعَارَةٌ لِحَالَةِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ أَرَادُوا الرَّسُولَ بِسُوءٍ، جَعَلَ اللَّهُ هَذَا لَهُمْ مَثَلاً فِي كَفِّهِ إِيَّاهُمْ عَنْهُ، وَمَنْعِهِمْ مِنْ أَذَاهُ حِينَ بَيَّتُوهُ. وقال الضَّحَّاكُ، وَالْفَرَّاءُ: اسْتِعَارَةٌ لِمَنْعِهِمْ مِنَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ: وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ"[٩٤] .

وضعف ابن عطية هذا الوجه لأن بصر الكافر يوم القيامة إنما هو حديد فيرى قبح حاله[٩٥]. ورده أبو حيان فقال : "وَلاَ يُضَعَّفُ هَذَا. أَلاَ تَرَى إِلى قَوْلِهِ: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً}، وَقَوْلِهِ: **{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى}؟** وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ، كِنَايَةٌ عَنْ إِدْرَاكِهِ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يُبْصِرُهُ"[٩٦].

ورأى آخرون أن قوله :**{إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً}** وعيد بما سيحلّ بهم يوم القيامة حين يساقون إلى جهنم في الأغلال كما أشار إليه قوله تعالى : **{إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ}** [غافر:٧٢ -٧٣] ، فيكون فعل جعلنا مستقبلاً وعبر عنه بصيغة الماضي لتحقيق وقوعه كقوله تعالى :**{أتى أمر اللهَّ}** [النحل : ١] ، أي سنجعل في أعناقهم أغلالاً [٩٧]، وتأول بعضهم الكلام بأن يكون المراد بالأعناق الأيدي ؛ لأنَّ الغلَّ لا يكون في العنق دون اليد ،فأيديهم مجموعةٌ إلى أذقانهم ؛ومَنْ غُلَّت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه ،وهذا مَثَلٌ معناه :أمسكنا أيديهم عن النَّفقة في سبيل الله بموانعَ كالأغلال [٩٨] .

وقيل :الأغلال هنا عبارة عن أعمالهم الفاسدة في أعناقهم كالأغلال ،ثم ذكر ما يستقرون عليه في الآخرة ،وأبرز ذلك في جملة مستقلة مشار إليهم رادّة عليهم ما أنكروه من البعث ،إذ لا يكون أصحاب النار إلا بعد الحشر [٩٩] .

وفرق الفخر الرازي بين الغلّ والسدّ والمذكورين في آية (يس) فذكر أنّ مانع الإيمان: إما أن يكون في أنفسهم ،وإما أن يكون خارجاً عنها .فأما المانع النفسي فهو الغُلّ ، وأما من الخارج فالسدّ وباجتماع المانعين تكون المحصلة أنهم لا يقع نظرهم على أنفسهم فيروا الآيات التي في أنفسهم لأن المُقْمَح لا يرى نفسه ولا يقع نظرهم على الآفاق لأن مَن بين السدّين لا يبصرون الآفاق فلا تتبين لهم الآيات [١٠٠].

أي أن الرازي يرجح أن تكون الأغلال الرقبة كالختم والطبع في العين والأذن .

ويعضد هذا الوجه سياق المقام الذي يشتمل على الآية التي قيل: إنها نزلت في بني مخزوم وذلك : أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخنّ رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده أثبتت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي اخر : أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه[١٠١]، ويبدو أن ذكر الأغلال في الأعناق محمول على الاستعارة في جميع القرآن وهو غلّ ليس ظاهرا بل هي أغلال داخلية . فالتعبير (الأغلال في الأعناق) جاء على طريق المثل، ولم يكن هناك غلّ حقيقي، والمراد به أنه تعالى منعنهم عن الإيمان بموانع ،فجعل الأغلال مثلا لذلك. قال الفراء في معنى آية (يس): " الذَّقَن أسْفل اللحيين. والمقمَح: الغاضّ بصره بعد رفع رأسه. ومعناه: إنا حبسناهم عَن الإنفاق فِي سبيل الله. وقوله: فَأَغْشَيْناهُمْ أي فألبسنا أبصارهم غشاوة. ونزلت هَذِه الآية فِي قوم أرادوا قتل النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني مخزوم، فأتوه فِي مصلاه ليلاً، فأعمى الله أبصارهم عَنْهُ، فجعلوا يسمعونَ صوته بالقرآن ولا يرونه. فذلك قوله **(فَأَغْشَيْناهُمْ)** " [١٠٢]

وذكر التعبير القرآني **{ فهي إلى الأذقان }** لتحقيق كون الأغلال داخلية تبتدئ من منتهى الرقبة وتنتهي إلى عظام الأذقان بحيث إذا أراد المغلول منهم الالتفات أو أن يطأطئ رأسه وجِعَه عضلات رقبته فلازم السكون وهذه حالة تخييل هذه الأغلال وليس كل الأغلال مثل هذه الحالة.

٩- قال تعالى: **{أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}** [الطور:٣٨][١٠٣].

عرض التعبير القرآني في سورة الطور في الآيات ٢٩ -٣٨ أقوال الكفار في النبي صلى الله عليه وآله: إنّه كاهن ومجنون ،وإنّه شاعر نتربّص به ريب المنون ،وإنه تقول القرآن .فنفى التعبير القرآني بأسلوب ساخر أن يكون لهم تصرّف قوي أو ضعيف في مواهب الله تعالى على عباده ، أعقبه بنفي أن يكون لهم إطلاع على ما قدره الله لعباده اطلاعاً يخوّلهم إنكار أن يرسل الله بشراً أو يوحي إليه وذلك لإبطال حجتهم في :**{تقوله}**. و **{نتربّص به ريب المنون}**. ونفي علمهم بالغيب بأسلوب التهكُّم فأنكر أن يكون لهم سُلَّم يرتقون به إلى السماء ليستمعوا ما يجري في العالم العلوي من أمر تتلقاه الملائكة أو أهل الملأ الأعلى بعضهم مع بعض فيسترقوا بعضا مما هو محجوب عن الناس إذ من المعلوم أنه لا سُلّم يصل أهل الأرض بالسماء وهم يعلمون ذلك ويعلمه كل الناس [١٠٤] .

وفي تأويل دلالة حرف الجر (في) في**{ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ}** خلاف ،فجوز أبو عبيدة أنّ تكون (في) دالة على السبب أو الاستعانة وهي بمعنى الباء أي :يستمعون به [١٠٥]، وذهب فريق إلى إن (في) بمعنى (على) وأنّ حرف الجر (فيه) منصرف من معنى الظرفية إلى الاستعلاء وإنه بمعنى (عليه) لأنّ السلّم لا يستمع فيه ،وإنّما يُستمع عليه. واختار هذا الوجه فريق من المفسرين[١٠٦]، وذكر الزجاج أنّ هذا قول أهل اللغة وهو بمنزلة **(ولأصلبنكم في جذوع النخل)** [١٠٧].

على حين أبقى فريق آخر حرف الجر (فيه) دالا على الظرفية مع تقدير محذوف في سياق الكلام ،وفي تقدير المحذوف خلاف إذ قدره الطبري بقوله "أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحي، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذي هم عليه حقّ، فهم بذلك متمسكون بما هم عليه"(١٠٨) . وأعرب الزمخشري (فيه) متعلقا بحال محذوفة تقديرها **(صَاعِدِينَ فيه)** ،ومفعول **(يَسْتَمِعُونَ)** محذوف والتقدير (لهم سلّم يستمعون صاعدين فيه ما يوحى إلى الملائكة من عِلْم الغيب)[١٠٩] .ورأى الفخر الرازي أنّ الوجهين " كليهما ضعيف لما فيه من الإضمار والتغيير" [١١٠].

وحمل فريقٌ الكلام على الظرفية دون نيابة ولا تقدير محذوف والكلام محمول على التشبيه والاتساع في معنى الظرف ،فالطوسي رأى أنّ السُّلّم الحقيقي مرتقى إلى العلو من بناء مصمت . ومعنى الاستماع فيه متحقق ،ويقال في المجاز : جعلت فلانا سلما لحاجتي أي سببا . فكأن المراد بالآية : أم يستمعون الوحي من السماء في ذلك السلم العالي [١١١]، و{فيه} ظرف مستقرّ حال من ضمير {يستمعون} ،أي وهم كائنون فيه لا يفارقونه إذ لا يفرض أنّهم ينزلون منه إلى ساحات السماء[١١٢] .

وصفوة ما قيل في توجيه هذه الآية أن "(فِي) لِلظَّرْفِيَّةِ وَهِيَ ظَرْفِيَّةٌ مَجَازِيَّةٌ اشْتُهِرَتْ حَتَّى سَاوَتِ الْحَقِيقَةَ لِأَنَّ الرَّاقِيَ فِي السُّلَّمِ يَكُونُ كُلُّهُ عَلَيْهِ، فَالسُّلَّمُ لَهُ كَالظَّرْفِ لِلْمَظْرُوفِ، وَإِذْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ اسْتِعْلَاءٌ ثُمَّ شَاعَ فِي الْكَلَامِ فَقَالُوا: صَعِدَ فِي السُّلَّمِ، وَلَمْ يَقُولُوا: صَعِدَ عَلَى السُّلَّمِ وَلِذَلِكَ اعْتُبِرَتْ ظَرْفِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، أَيْ حَقِيقَةٌ عُرْفِيَّةٌ بِخِلَافِ

الظَّرْفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ [طه: ٧١] لأَنَّهُ لَمْ يَشْتَهِرْ أَنْ يُقَالَ: صَلَبَهُ فِي جِذْعٍ، بَلْ يُقَالُ: صَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، فَلِذَلِكَ كَانَتِ اسْتِعَارَةً، فَلاَ مُنَافَاةَ بَيْنَ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الظَّرْفِيَّةَ مَجَازِيَّةٌ وَقَوْلِ مَنْ زَعَمَهَا حَقِيقَةً[١١٣].

وعُلم من اسم السُّلَّم أنه آلة الصعود ،وعلم من ذكر السماوات في الآية قبلها أن المراد سلم يصعدون به إلى السماء ،فلذلك وصف بـ {يستمعون فيه} أي يرتقون به إلى السماء فيستمعون وهم فيه ، أي في درجاته .

١٠- قال تعالى: **{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ}** [الرحمن : ٥٦]

لمّا اختلفوا في عائد الضمير (هن) المتّصل بحرف الجر (في) على الفُرش يعود أم على الجنتين؟ اختلفوا كذلك في مدلول حرف الجر (في) بحسب عود الضمير المتّصل فيه ،فذهب فريق إلى إن الضمير عائد على الفرش في قوله تعالى: (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) ومن ثمّ فسر (في) بمعنى على[١١٤]، وصحّح السمعاني هذا الوجه فقال: "الأصَح أن قَوْله: {فِيهِنَّ} ينْصَرف إلَى الفرش، وَمَعْنَاهُ: عَلَيْهِنَّ، مثل قَوْله: {ولأصلبنكم فِي جُذُوع النّخل} أي: على جُذُوع"[١١٥] . واختار ابن عاشور كون "ضَمِيرُ فِيهِنَّ عَائِدا إِلَى فُرُشٍ وَهُوَ سَبَبُ تَأْخِيرِ نِعَمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِلَذَّةِ التَّأَنُّسِ بِالنِّسَاءِ عَنْ مَا فِي الْجَنَّاتِ مِنَ الأَفْنَانِ وَالْعُيُونِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْفُرُشِ، لِيَكُونَ ذِكْرُ الْفُرُشِ مُنَاسِبًا لِلِانْتِقَالِ إِلَى الأَوَانِسِ فِي تِلْكَ الْفُرُشِ وَلِيَجِيءَ هَذَا الضَّمِيرُ مُفِيدًا مَعْنًى كَثِيرًا مِنْ لَفْظٍ قَلِيلٍ، وَذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ التَّرْتِيبِ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ. فَقَاصِرَاتُ الطَّرْفِ كَائِنَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَكَائِنَةٌ عَلَى الْفُرُشِ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ قَالَ تَعَالَى: **{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً}** "[١١٦].

وضعّف الرازي هذا الوجه "لِأَنَّ الْفُرُشَ جَعَلَهَا ظَرْفَهُمْ حَيْثُ قَالَ: مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ [الرَّحْمَن: ٥٤] وَأَعَادَ الضَّمِيرَ إِلَيْهَا بقوله: بَطائِنُها [الرحمن: ٥٤] وَلَمْ يَقُلْ: بَطَائِنُهُنَّ، فَقَوْلُهُ فِيهِنَّ يَكُونُ تَفْسِيرًا لِلضَّمِيرِ فَيَحْتَاجُ إِلَى بَيَانِ فَائِدَةٍ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ بَعْدَ هَذَا مَرَّةً أُخْرَى: فِيهِنَّ خَيْراتٌ [الرحمن: ٧٠] وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ذِكْرُ الْفُرُشِ" [١١٧] .

وحمل أكثرهم حرف الجر (في) على بابه في الدلالة على الظرفية ، فقال الفراء :كل موضع من الجنة جنة ،فلذلك قال : فِيهِنَّ [١١٨]، وجوز الزمخشري أن يكون الضمير عائدا على الآلاء أو على الجنتين قائلا: " فِيهِنَّ في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى .أو في الجنتين ،لاشتمالها على أماكن وقصور ومجالس"[١١٩] .

وضعف أبو حيان كون الضمير عائدا على الآلآء ووصفه بالبعد[١٢٠]، وفهم السمين الحلبي من رد أبي حيان على أحد وجهي الزمخشري أنه يسْتَحْسَنَ الوجهَ الذي قبله وهو كون (في) بمعنى (على) ثمّ ردّ السمين الحلبي على شيخه أبي حيان وانتصر للزمخشري فقال يصف مذهب أبي حيان "فيه نظرٌ؛ لأنَّ الاستعمالَ أنْ يُقال: على الفِراش كذا، ولا يقال: في الفِراش كذا إلاَّ بتكلُّف؛ فلذلك جَمَعَ الزمخشريُّ مع الفُرُش

غيرَها حتى صَحَّ له أنْ يقولَ: (فيهن) بحرف الظرفيَّة، ولأن الحقيقة أنَّ الفُرُشَ يكون الإنسانُ عليها؛ لأنه مُستَعْلٍ عليها. وأمَّا كونُه فيها فلا يقال إلاَّ بمجازٍ[١٢١] .

لكنّ أبا حيان لم يستحسن كون (في) بمعنى (على) بل استظهر عود الضمير على الجنتين فقال: " الضَّمِيرُ فِي فِيهِنَّ عَائِدٌ عَلَى الْجِنَانِ الدَّالِّ عَلَيْهِنَّ جَنَّتَانِ، إِذْ كُلُّ فَرْدٍ قُرِّدَ لَهُ جَنَّتَانِ، فَصَحَّ أَنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنْ كَانَ الْجَنَّتَانِ أُرِيدَ بِهِمَا حَقِيقَةُ التَّثْنِيَةِ، وَإِنَّ لِكُلِّ جِنْسٍ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ جَنَّةٌ وَاحِدَةً، فَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ مِنَ الْمَجَالِسِ وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ" [١٢٢] وهذا هو قول الزمخشري الثاني الذي اختاره أكثرهم موجهين عود ضمير الجمع على المثنى " لأنَّ أقلَّ الجمع اثنان على قولٍ، وله شواهدُ قد تقدَّم أكثرُها. وإمَّا أن يقالَ: عائدٌ على الجنات المدلولِ عليها بالجنتين، وإمَّا أنْ يقالَ: إنَّ كل فردٍ له جنتان فصَحَّ أنها جناتٌ كثيرة، وإمَّا أنَّ الجنة تشتمل على مجالسَ وقصورٍ ومنازلَ فأطلقَ على كلِّ واحدٍ منها جنة. وقيل: يعودُ على الفُرُش. وهذا قولٌ حَسَنٌ قليلُ الكُلْفَةِ"[١٢٣] .

١١- قال تعالى: {لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة : ٢٢](١٢٤).

اختلفوا في توجيه دلالة حرف الجر (في) فرأى الطبري أن في بمعنى اللام و "قوله: (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ) يقول جلّ ثناؤه: هؤلاء الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم، كتب الله في قلوبهم الإيمان. وإنما عُنِي بذلك: قضى لقلوبهم الإيمان، ففي بمعنى اللام، وأخبر تعالى ذكره أنه كتب في قلوبهم الإيمان لهم، وذلك لمَّا كان الإيمان بالقلوب، وكان معلومًا بالخبر عن القلوب أن المراد به أهلها، اجتزى بذكرها مِنْ ذكر أهلها."[١٢٥]

ووجه فريق من المفسرين دلالة حرف الجر في (كَتب في قلوبهم) بأنه بمعنى على قلوبهم كقوله تعالى: {في جذوع النخل} ، وخص القلوب بالذكر لأنها موضع الإيمان [١٢٦].

وأبقى فريق آخر حرف الجر دالا على الظرفية وأولوا (كتب) بمعنى فعل يتعدى بالحرف (في) فضمنوه معنى (خلق) تارة ، أي :خلق في قلوبهم التصديق .ومعنى (ثبت) تارة أخرى والمعنى: ثبت في قلوبهم الإيمان. ومعنى (جمع) تارة ثالثة، ومنه الكتيبة ،أي :لم يكونوا ممن يقول :نؤمن ببعض ،ونكفر ببعض[١٢٧] .

وحمل الحرف على الظرفية مع بقاء فعل الكتابة دون تضمين يلزم منه أن يكون المكتوب في القلوب هو علامة دالة على الأيمان ويعضد هذا التأويل أن سياق الآية نازل في المؤمنين المخلصين وهو " الذين لا يوادُّون من حَادَّ اللهَ ورَسوله، ويوالون المؤمنين"[١٢٨]، ومعنى (كتب في قلوبهم الإيمان) أنّها سمة وعلامة لمن يشاهدهم من الملائكة على أنهم مؤمنون وللكفار سمة أيضا هي الطبع على قلوبهم فيعلم من شاهدها من الملائكة أنهم مطبوع على قلوبهم فكأن الكتابة على القلوب سمة خفية إزاء السمة

الظاهرة في الوجوه في قوله تعالى {**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**} [الفتح :٢٩] .وما تضمّنته هذه الآية الكريمة من تثبيت الإيمان في قلوبهم جاء موضحاً في قوله تعالى :{**ولكن الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الأيمان وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكفر والفسوق والعصيان أولئك هُمُ الراشدون فَضْلاً مِّنَ الله وَنِعْمَةً**} [الحجرات:٧- ٨] .

١٢- قال تعالى:{**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**} [الملك:١٦][١٢٩].

المراد بـ(من في السماء) هو الله تعالى ،ويشهد له سياق الآية لما ذكر خسف الأرض وإرسال الحاصب إذ لا يقدر على هذا إلا الله .ولم تجد طائفة من المفسرين حرجا من بقاء حرف الجر (في) دالا على الظرفية مع لزوم التشبيه ،بل إنّ " المشبِّهة احتجّوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله : {**أأمِنْتُمْ مَّن فِى السماء**}"[١٣٠] ، ووجه التشبيه أنّ الله تعالى لما كان في السماء لزم أن تكون السماء محيطة به من جميع الجوانب فيكون جسما أصغر منها [١٣١]، وهذا ما يفهم من قول الطبري : "أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ، وهو الله (**أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا**) وهو التراب فيه الحصباء الصغار (فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) يقول :فستعلمون أيُّها الكفرة كيف عاقبة نذيري لكم ،إذ كذبتم به ، ورددتموه على رسولي" [١٣٢]، واختار ابن تيمية هذا الوجه فرأى أنّ " السماء اسم جنس للعالي لا يخصّ شيئا .فقوله :{في بسمّاء} ،أي : (**في العلو دون السفل**) . وهو العلى الأعلى، فله أعلى العلو ،وهو ما فوق العرش وليس هناك غيره العليّ الأعلى سبحانه وتعالى "[١٣٣] .

وحمل (في) على معناها في الدلالة على الظرفية مع ذكر (الله) تعالى غير موجّه لأنّه يلزم منه التشبيه والتجسيم لإثباته صفة العلوّ لله تعالى دون الدنوّ. ولذا أوجب أكثرهم [١٣٤] صرف الآية عن ظاهرها إلى التأويل فذكروا فيها عدة أوجه أقروا في أحدها دلالة (في) على الاستعلاء وقدروا في الأخرى محذوفا في سياق الآية يفهم معه معنى الظرفية، تلك الأوجه هي :

الأول: ذكره القرطبي وهو إنّ (في السماء) بمعنى (على السماء) كقوله تعالى: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النخل} [طه : ٧١] أي عليها [١٣٥]، ونقل عن ابن كيسان توجيهه (في) بمعنى (على) في قوله تعالى :{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات: ٢٢] قال :يعني وعلى ربّ السماء رزقكم {فِى} بمعنى (على) ،وذكر الربّ مختصراً، كقوله :{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} ،ونظيره قوله: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأرض إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}[١٣٦] .

الثاني: أن يكون في الكلام محذوف هو صدر للصلة بعد (مَن) وتقدير الآية :{أأمنتم من في السماء عذابُه} ،لأنّ عادة الله تعالى جارية على إنزال البلاء على من يكفر به ويعصيه من السماء، فالسماء موضع عذابه تعالى ، كما أنها موضع نزول رحمته ونعمته .

الثالث: أن يكون تقدير الآية {من في السماء سلطانه وملكه وقدرته} ، والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته ، كما قال : { وَهُوَ الله فِى السموات وَفِى الأرض } [الأنعام :٣] فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين ، فوجب أن يكون المراد من كونه في السموات وفي الأرض نفاذ أمره وقدرته ، وجريان مشيئته في السموات وفي الأرض ،فكذا ههنا. وعزي هذا الوجه إلى الكسائي [١٣٧]، واستظهره أبو حيان فقال: " هذا مجاز، وقد قام البرهان العقلي على أنه تعالى ليس بمتحيز في جهة، ومجازه أن ملكوته في السماء لأن في السماء هو صلة (مَن) ، ففيه الضمير الذي كان في العامل فيه ، وهو استقر ، أي من في السماء هو ، أي ملكوته ، فهو على حذف مضاف ، وملكوته في كل شيء . لكن خص السماء بالذكر لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ، ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأمره ونهيه "[١٣٨] .

الرابع: وهو ما عزي إلى أبي علي الفارسي توجيهه التعبير القرآني الذي كنّى عن الله تعالى أنه (في السماء) على حذف الخبر، ففي قوله تعالى :{وَهُوَ الذى فِى السماء إله وَفِى الأرض إله} ، "{إله} في الموضعين مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف ،أي : وهو الذي في السماء هو إله ، وفي الأرض هو إله ، وحسن حذفه لطول الكلام ، قال : والمعنى :على الإخبار بإلاهيته ،لا على الكون فيهما " [١٣٩].

الخامس: أن يكون المراد بـ(مَن في السماء) هو الملك الموكل بالعذاب ،وهو جبريل عليه السلام ، والمعنى أن يخسف بهم الأرض بأمر الله وإذنه [١٤٠]، واختار ابن عادل هذا الوجه فقال في ردّه وجهين ساقهما قبله : " وإنما احتاج القائل بهذين الوجهين إلى ذلك لأنّه اعتقد أن (من) واقعة على الباري تعالى شأنه وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي أنه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم، ولا حاجة إلى ذلك، فإن من هنا المراد بها الملائكة سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة"[١٤١].

وعُضد هذا الوجه بأنّ " إسناد الفعل {يخسف} إلى الملائكة أو إلى واحد منهم حقيقة لأنه فاعل الخسف قال تعالى حكاية عن الملائكة { **قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ** } [العنكبوت : ٣١] [١٤٢]

السادس :إنّ العرب مقرُّون بوجود الإله ،وأنّ الرحمة والعذاب ينزلان منه ،لكنّهم كانوا يعتقدون أنه في السماء على وفق قول المشبهة ،وكانوا يدعونه من جهتها ،فقيل لهم على حسب اعتقادهم : أأمنتم من تزعمون أنه في السماء ،وهو متعال عن المكان أن يعذّبكم بخسف أو بحاصب ،كما تقول لبعض المشبهة :أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل .فكأنه تعالى قال لهم :أتأمنون من قد أقررتم بأنه في السماء ،واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء أن يخسف بكم الأرض [١٤٣]، ونقل الشنقيطي هذا الوجه عن الطبري فقال :" معتقد السلف هو طبق ما قاله ابن جرير لحديث الجارية : أين الله؟ قالت في السماء ، قال :اعتقها فإنها مؤمنة "[١٤٤] .

ووصف الألوسي هذا الوجه بأنّه "في غاية السخافة فكيف يناسب بناء الكلام في مثل هذا المقام على زعم بعض الجهلة كما لا يخفى على المنصف أو هو غيره عزّ شأنه

"[١٤٥]، وهذا الكلام يوجب أنه تعالى منزه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أبان أن ذاته بنفسه فوق عباده لأنه قال : { أأمنتم من في السماء } ثم فصل فقال : { أن يخسف بكم الأرض } ولم يصله بمعنى فيشتبه ذلك فلم يكن لذلك معنى إذا فصل بقوله في السماء ثم استأنف التخويف بالخسف إلا أنه على العرش فوق السماء وقال **{يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}** [السجدة : ٥] وقال **{ تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ }** [المعارج : ٤] .

ويبدو أن المقصود بالسماء في الآية ليست سماء الدنيا ؛ولا غيرها من السبع الطباق ، وإنما المعنى :أأمِنتم مَن في العلو ،وهو علو الجلال ،وليس كون الله في سماء الحوادث من صفات الكمال ،تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً .

الهوامش

١- ينظر: تاكشف والبيان ٦٧/١ والتبيان للطوسي ١٢٣/١ والكشاف ١٢٢/١ والفخر الرازي٢٠/١ والجامع لأحكام القرآن ١٤٤/١ والبحر المحيط٢٥/١ والبرهان ٣٠٣/٤ واللباب ٢٥٦/١ والإتقان ١٩٠/١.

٢- ينظر: الكتاب ٣١٠/١ وأدب الكاتب ٥١٨/١ والأصول لابن السراج ٤١٤/١ وحروف المعاني للزجاجي ٨٣ ومعاني الحروف للرماني ٩٦ والخصائص ٣٠٩/٢ والأزهية ٢٩٣وشرح الرضي على الكافية ٢٧٩/٤ ومغني اللبيب/٢٢٣ وأوضح المسالك ٣٧/٣ -٣٨ والجنى الداني ٢٦٦ وشرح الأشموني ٩٥/٢ وشرح التصريح على التوضيح ٦٤٩/١ وهمع الهوامع ٤٤٥/٢ وجامع الدروس العربية ١٨٠/٣ والنحو الوافي ٥١٣/٢.

٣- ينظر: المحرر الوجيز ٢٥١/٣ والجنى الداني ٢٥٠/١ .

٤- ينظر: معاني القرآن للأخفش ٥١/١ والجنى الداني ٢٥١/١ .

٥- الجنى الداني ٢٥١/١ ومغني اللبيب ٢٢٥/١ .

٦- مغني اللبيب ٢٢٦/١ وشرح الأشموني ٨٧/٢.

٧- الرجز لسويد بن أبي كاهل اليشكري في خزانة الأدب ٦/ ١٢٥؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٤٨٦؛ وبلا نسبة في جواهر الأدب ص٢٣٠؛ وهمع الهوامع ٢/ ٣٠.

٨- ينظر: مغني اللبيب: ٢٢٥، شرح التصريح: ٢/ ١٤، وضياء السالك: ٢/ ٢٦١.

٩- معاني الحروف للزجاجي ٨٣/١ .

١٠-ينظر: جامع البيان ١٠٠/٩ ومعاني الحروف للزجاجي ٨٤

١١-ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٥٦/٣ شرح الأشموني ٨٥/٢ .

١٢-جامع البيان ٥٠٤/١٧ وتفسير اللباب ٥٠٦/٩.

١٣-تفسير اللباب ٥٠٦/٩ .

١٤-جامع البيان ٤٤٩/١٩

١٥-الديوان: ١٣٨.

١٦-معاني الحروف للزجاجي ٨٥ .

١٧-تفسير اللباب ٥٠٦/٩ .

١٨-حروف المعاني ٨٤/١ والمحرر الوجيز ٤٠٥/٢ .

١٩-ينظر: أوضح المسالك ٣٧

٢٠- ينظر : البرهان ٣٠٣/٤ والاتقان ١٩٠/١

٢١-الوسيط للواحدي ٤٢٧/١ وينظر: بحر العلوم ٣٠٢/١ والكشف والبيان ٣٧/٣ والنكت والعيون ٣٨٣/١ والمفردات للراغب (ولج) ولكشاف ٣٤٩/١ والمحرر الوجيز ٤٢٣/١ وزاد المسير ٢٧١/١ والفخر الرازي ١٩٠/٨ والجامع لأحكام القرآن ٥٦/٤ وأنوار التنزيل ١١/٢ والبحر المحيط ٨٨/٣ وتفسير اللباب ١٣٢/٥ والبحر المديد ٣٢٩/١ .

٢٢-تفسير مقاتل ٢٩١/١ وينظر: تفسير مجاهد ٢٥٠/١ وتفسير سفيان الثوري ٧٦/١ وتفسير عبد الرزاق وجامع البيان ومعاني القرآن وإعرابه ٣٩٥/١ وتفسير البغوي ٤٢٦/١ .

٢٣-ينظر: الدر المصون ١٠٣/٣ وتفسير اللباب ١٣٣/٥ .

٢٤-ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٩٣/١ وجامع البيان ٨٠/٩ والتبيان للطوسي ٥٠٠/٤ والكشاف ١١٨/٢ والمحرر الوجيز ٤٥٥/٢ ومجمع البيان ٣٦١/٩ والفخر الرازي ٧/١٥ والجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/٧ والبحر المحيط ١٧٨/٥ .

٢٥-الفخر الرازي ٣٧٠/١٥ وينظر: تنوير المقباس ١٢٨/٢ وغريب القرآن لليزيدي ١٥٠ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٠-١٨١ وجامع البيان ٦٢/٩ وبحر العلوم للسمرقندي٥٧١/١ ومعالم التنزيل للبغوي ٢٨٣/٣

٢٦-ينظر: الفخر الرازي ٣٧٠/١٥ والبحر المحيط ١٧٩/٥ واللباب ٣١٨/٩-٣١٩.

٢٧-ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٧٨/٢

٢٨-ينظر: تهذيب اللغة ١٧١٣/٢ والصحاح (سقط) والمحكم ٢٢٤/٦ والكشاف ١٥١/٢ والفخر الرازي ٣٧٠/١٥ ولسان العرب (سقط) والبحر المحيط ١٧٩/٥. والقاموس المحيط (سقط)

٢٩- التفسير البسيط للواحدي ٤٦١/٩ وينظر: مجمع الأمثال ٣٣٠/١ والدر المصون ٤٦٢/٥ واللباب ٣١٩/٩ .

٣٠-لم أقف عليه في ديوانه وهو من شواهد الواحدي في تفسيره والميداني في مجمع أمثاله وغيرهما .

٣١- التفسير البسيط للواحدي ٩/ ٤٦١ وينظر: مجمع الأمثال ٣٣٠/١ والدر المصون ٤٦٢/٥ واللباب ٣١٩/٩

٣٢-ينظر :المحرر الوجيز ٥٢٤/٢ والفخر الرازي ٣٧٠/١٥ والبحر المحيط ١٧٩/٥ واللباب ٣١٩/٩

٣٣-الكشاف ١٥١/٢

٣٤-ينظر :الفخر الرازي ٣٧٠/١٥ والبحر المحيط ١٧٩/٥واللباب ٣١٩/٩ والبحر المديد ٢٨٩/٢ وإرشاد العقل السليم ٢٧٣/٣

٣٥-المحرر الوجيز ٥٢٤/٢

٣٦-ينظر : الفخر الرازي ٣٧٠/١٥

٣٧-التفسير البسيط ٣٦٣/٩

٣٨-ينظر : التحرير والتنوير ١١٢/٩

٣٩- ينظر : معاني الفراء ٣٣٩/١ وجامع البيان ١٨٧/٧ والتبيان للطوسي ٤٣/٥ والكشاف ١٣٤/٢ والمحرر الوجيز ٤٨٤/٢ ومجمع البيان ١٧٨/٩ والفخر الرازي ٧٠/١٥ والجامع لأحكام القرآن ٢٤٢/٧ والبحر المحيط ٢٣٨/٥ .

٤٠- ينظر : الصحاح والمفردات

٤١-ينظر: معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش معاني القرآن وإعرابه ٣٩٣/٢ وإعراب القرآن للنحاس ومدارك التنزيل ٦٢٢/١

٤٢-ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٧ وزاد المسير ١٧٥/٢ والدر المنثور ٣٨٤/٤ والمحرر الوجيز ٥٥٥/٢ والفخر الرازي ٤٢٤/١٥

٤٣-ينظر : جامع البيان ٢٩٥/١٣ وتفسير ابن أبي حاتم ١٦٢٧/٥والدر المنثور ٣٨٤/٤ والمحرر الوجيز ٥٥٥/٢ والفخر الرازي ٤٢٤/١٥
٤٤- ينظر : جامع البيان ٢٩٥/١٣ وتفسير ابن أبي حاتم ١٦٢٧/٥والدر المنثور ٣٨٤/٤
٤٥-ينظر : تفسير مقاتل ٨٧/٢ وجامع البيان ٢٩٥/١٣ وغريب القرآن للسجستاني ١٦٨/١ وبحر العلوم للسمرقندي ٥٧٣/١ والكشف والبيان ٣١٣/٤ ومعالم التنزيل ٢٥٦/٢ والجامع لأحكام القرآن ٣٢٥/٧ والبحر المحيط ٣٢٨/٥ وتفسير اللباب ٤١١/٩
٤٦- جامع البيان ٢٩٥/١٣
٤٧- الكشاف ١٧٢/٢ وينظر: أنوار التنزيل ٤٤/٣ والدر المصون ٥٣٠/٥ .
٤٨- ينظر : التحرير والتنوير ٣٤/٦ ، و ٤٨٩/١٥
٤٩-البحر المحيط ٢١٦/٦
٥٠-الجواهر الحسان ٤٠٣/٣ .
٥١- تفسير اللباب ٥٧٥/١٠
٥٢-جامع البيان ٤٩٣/١٥ وينظر: الكشاف ٤٠٧/٢ وزاد المسير ٤٠٣/٣ والفخر الرازي ٥٧٠/٢٧ والجامع لأحكام القرآن ٣٧٠/١٥ ومعالم التنزيل ١٥٠/٣ ومدارك التنزيل ١٥٠/٤ وإرشاد العقل ١٨٤/٧.
٥٣-التحرير والتنوير١٢/ ١٦٩ وينظر: روح المعاني ١٨٤/٧
٥٤-ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥١٨/٣ -٥١٩ والدر المصون ٧٣/٧ وتفسير اللباب ٣٤٦/١١ وروح المعاني ١٨٤/٧
٥٥-الدر المصون ٧٣/٧ وتفسير اللباب ٣٤٦/١١ وروح المعاني ١٨٤/٧
٥٦-لم أعثر على قائله وأنشده في اللسان عن الفراء في (فيا) .
٥٧-ينظر: معاني القرآن للفراء ٧٠/٢
٥٨- ينظر: مجاز القرآن ٣٢٦/١ وغريب القرآن لابن قتيبة ٢٣٠/١
٥٩- الرجز بلا عزو في جمهرة اللغة ١١٨٦/٢ والصحاح (روي) ولسان العرب (روي) .
٦٠-إعراب القرآن للنحاس ٥٢٠/٣ ومعاني القرآن للنحاس: ٣/ ٥٣٠
٦١-ينظر: الدر المصون ٧٣/٧ وتفسير اللباب ٣٤٦/١١ وروح البيان
٦٢- التحرير والتنوير ١٩٧/١٣ .
٦٣-تفسير اللباب ٤٩٥/١٢ وينظر: البحر مديد ٢٢٣/٤
٦٤-الكشف والبيان ١٧٣/٦
٦٥-زاد المسير ٨٦/٣ وينظر: تذكرة الأريب ٢١٤/١ والبحر المحيط ٩٠/٣.
٦٦-البحر المحيط ٩٠/٣-٩١ .
٦٧-الكشاف ٦٧٦/٢
٦٨-ينظر: أنوار التنزيل ٢٨٢/٣ ومدارك التنزيل ٢٠/٣ والبحر المحيط ١٨١/٧ وتفسير اللباب ٤٩٥/١٢-٤٩٦.
٦٩-البحر المحيط ١٨١/٧ وينظر: تفسير اللباب ٤٩٥/١٢ والبحر المديد ٢٣٤/٤.
٧٠-ينظر: البحر المديد ٢٢٣/٤
٧١-البحر المديد ٢٢٣/٤
٧٢-ينظر: تفسير اللباب ٣٢٠/١٣ وروح المعاني ٢١٩/١٢
٧٣- ظ : الصحاح ٥٩٧ والمفردات ٤٢٩ واللسان ٣٠٣/١١.
٧٤-ظ : معاني الفراء ١٨٦/٢ ومعاني الأخفش٣٦ و١٨٥ ومجاز القرآن٤ وجامع البيان٣٣٢/١٦ والكشف والبيان٤٧٦/٢ والتبيان للطوسي ١٥٧/٧ الوجيز للواحدي ٥١٠/١ ومعالم النزيل ١٨٩/٣ وزاد المسير١٨٧/٧ والفخر الرازي٨٤/٢٢ والجامع لأحكام القرآن١٧١/١١ ولباب

التأويل٣٤٨/٣ وفتح القدير١٣/٥ وروح المعاني ١٢/ ٢١٩ وأضواء البيان ١٣٤/٤ وأيسر التفاسير ٤٤٤/٢ والوسيط لطنطاوي ٨٤٢/٢ .
٧٥-البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري في مجاز القرآن ٧٦ .
٧٦-الكشاف ٥٤٦/٢ .
٧٧-المحرر الوجيز ٥٣/٤ .
٧٨-الفخر الرازي ٨٤/٢٢ .
٧٩- أنوار التنزيل ٥٣/٢ .
٨٠-ظ : فتح القدير ١٣/٥ .
٨١-ظ : التبيان للعكبري ١٣٤/٢ ونظم الدرر ٢٥٤/٥ والسراج المنير ٤٤٢/٢ وإرشاد العقل السليم ٤٣٩/٥ والبحر المديد ٢٤/٤ وروح المعاني ٢١٩/١٢ .
٨٢-البرهان ٧٩٨ .
٨٣- شرح كتاب مقدمة في أصول التفسير ٥٤.
٨٤-نقض تناوب حروف الجر في القرآن الكريم (بحث)
٨٥-نفسه
٨٦-معاني الفراء ٣٧٢/٢ وجامع البيان١٨٣/٢٢ ومعاني القرآن وإعرابه ٢١٠/٤ والتبيان للطوسي ٣٣٦/٨ والكشاف ٣١٥/٣ ومجمع البيان ٢٥٩/٢٢ والفخر الرازي ٤٠/٢٦ والبحر المحيط ٥١/٩ .
٨٧-روح المعاني ٤٢٩/١٦
٨٨-المفردات (غلل) .
٨٩-ينظر: التحرير والتنوير ٣٥٠/٢٢.
٩٠-ينظر: المحرر الوجيز ٤/ ٥١٣ وتفسير الجواهر الحسان ٦/٥ وروح المعاني ٣٨٧/١١ .
٩١-الصحاح (غلل)
٩٢-ينظر : روح المعاني ٣٨٧/١١
٩٣- الكشاف ٧/٤ والبحر المديد ٥/ ١٩٥ ومدارك التنزيل ٩٦/٣ والتحرير والتنوير ٣٤٩/٢٢ .
٩٤-البحر المحيط ٤٩/٩ والتحرير والتنوير ٢٢ / ٣٤٩ .
٩٥-المحرر الوجيز ٥١٢/٤
٩٦-البحر المحيط ٤٩/٩
٩٧-المحرر الوجيز ٥١٢/٤ والنكت والعيون ٧/٥ والتحرير والتنوير ٣٥٠/٢٢
٩٨-الوجيز للواحدي ٨٩٧/١ وتفسير القرآن العظيم ٣٤٥/١١ والجواهر الحسان ٢٥٩/٣
٩٩-البحر المحيط ٥٠/٩ .
١٠٠- الفخر الرازي ٢٥٥/٢٦.
١٠١- الكشاف ٨/٤ وأنوار التنزيل ٢٦٤/٤ ومدارك التنزيل ٦/٤ وإرشاد العقل السليم ١٦٠/٧
١٠٢- معاني القرآن للفراء ٣٧٢/٢
١٠٣- جامع البيان ٥٥/١٧ والتبيان ٣٣٠/٩ والكشاف ٢٦/٤ ومجمع البيان ٤٤/٢٧ والفخر الرازي ٢٤٦/٢٨ والبحر المحيط ٥٧٦/٩ .
١٠٤- التحرير ١٥٤/١٤ .
١٠٥- ينظر: مجاز القرآن ٢٣٣/٢ والجامع لأحكام القرآن ٧٤/١٧ وفتح القدير٦٢/٧ .
١٠٦- ينظر: تفسير مقاتل ٣٣/٣ ومجاز القرآن ٢٣٣/٢ وأحكام القرآن للجهضمي١٧٩/١والوسيط للواحدي ٢١٤/٣ ومجمع البيان ٢٥٤/٩ والتبيان للعكبري ١١٨٤/٢ ومعالم التنزيل ٢٩٥/٤ وزاد المسير ١٦٧/٣ وتفسير اللباب ٥٠٩/٩ الجامع لأحكام القرآن ٧٤/١٧ وفتح القدير٦٢/٧ .
١٠٧- معاني القرآن وإعرابه ٦٦/٥ .

١٠٨- جامع البيان ٤٨٢/٢٢ .
١٠٩- الكشاف ٤١٥/٤ .
١١٠- الفخر الرازي ٢٤٦/٢٨ .
١١١- التبيان للطوسي ٤٠٤/٩ .
١١٢- التحرير والتنوير ١٥٤/١٤
١١٣- التحرير والتنوير ٧٣/٢٧
١١٤- تفسير السمعاني ٣٢٥/٥ والجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٧ والتفسير القيم ٥٠٥/١ وزاد المسير ٢١٤/٤
١١٥- تفسير السمعاني ٣٢٥/٥ .
١١٦- التحرير والتنوير ٢٦٩/٢٧
١١٧- الفخر الرازي ٣٧٤/٢٩ .
١١٨- معاني القرآن للفراء ١١٨/٣ وينظر: البحر المحيط ٦٨/١٠ والدر المصون ١٨١/١٠ وتفسير اللباب ٣٤٩/١٨ .
١١٩- الكشاف ٤٥١/٤ وينظر: مدارك التنزيل ٤١٧/٣ والدر المصون ١٨١/١٠
١٢٠- ينظر: البحر المحيط ٦٨/١٠ والدر المصون ١٨١/١٠
١٢١- الدر المصون ١٨١/١٠ وتفسير اللباب ٣٤٨/١٨ -٣٤٩
١٢٢- ينظر: البحر المحيط ٦٨/١٠
١٢٣- الدر المصون ١٨١/١٠ وينظر: جامع البيان ٦٣/٢٣ ومعاني القرآن وإعرابه ١٠٢/٥ وتفسير الفخر الرازي ٣٧٤/٢٩ وتفسير السمعاني ٣٣٢/٥ والجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٧ وتفسير اللباب ٣٤٩/١٨ .
١٢٤- ظ : جامع البيان ٥١٣/٢٣ والكشف والبيان ٢١٤/١٢ والنكت والعيون ٤٩٦/٥ والكشاف ٧٨/٤ والفخر الرازي ٢٠٩/٢٩ والجامع لأحكام القرآن ٢١٧/١٧ والبحر المحيط ١٢٣/١٠ واللباب ٥٦٠/١٨ والبحر المديد ٣٧٤/٦ وفتح القدير٤١٩/٦ وروح المعاني٣٢١/٢٧ والتحرير والتنوير ٢١٨/١٥
١٢٥- جامع البيان ٥١٣/٢٣
١٢٦- ينظر : الكشف والبيان ٢١٤/١٢ والجامع لأحكام القرآن ٢١٧/١٧ وأنوار التنزيل ١٩٦/١ وتفسير اللباب
١٢٧- ينظر : الكشف والبيان ٢١٤/١٢ والوسيط والنكت والعيون ٤٩٥/٥ والتبيان للطوسي والكشاف٤٩٦/٤ والمحرر الوجيز ٢٥٦/٥ ومعالم التنزيل ٤٩/٥ ومجمع البيان والمحرر الوجيز ٢٥٦/٥ والجامع لأحكام القرآن ٢١٧/١٧ والبحر المديد ٢٧٩/٦ والبحر المحيط ١٢٣/١٠ وبحر العلوم ٤٢٠/٣ وتفسير اللباب ٢٥٠/٣
١٢٨- معاني الزجاج ١٤٢/٥ وينظر: الكشاف ٤٩٦/٤ والتبيان الطوسي والمحرر الوجيز ٢٥٦/٥ والفخر الرازي ٢٠٩/٢٩ وروح المعاني ٣٢١/٢٧ ٣٣٧/١
١٢٩- ينظر :جامع البيان ١٢/٢٩ والتبيان للطوسي ٥٧/١٠ والكشاف ١٣٨/٤ والفخر الرازي ٦٢/٣٠ والجامع لأحكام القرآن ١٥١/١٨
١٣٠- الفخر الرازي ٦٢/٣٠.
١٣١- ينظر : الفخر الرازي ٦٢/٣٠ وتفسير اللباب ٢٤٧/١٩.
١٣٢- جامع البيان ٥١٣/٢٣ .
١٣٣- مجموع الفتاوى ١٠١/١٦ والبحر المديد ٣٧٤/٦.
١٣٤- ينظر : الفخر الرازي ٦٢/٣٠ وروح المعاني ١٧/١٥-١٩.

١٣٥- ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥١/١٨ والبحر المحيط ٢٢٦/١٠ وتفسير اللباب ٢٤٧/١٩ وفتح القدير ٤١٩/٦ .
١٣٦- ينظر : الكشف والبيان ٢١٤/١٢
١٣٧- ينظر : جامع البيان ١٢/٢٩ والكشاف ١٣٤/٤ والجامع لأحكام القرآن ١٥١/١٨ والبحر المحيط ٢٢٦/١٠ وتفسير اللباب ٢٤٧/١٩ وأضواء البيان ٣٨٠/٢ .
١٣٨- البحر المحيط ٢٢٦/١٠.
١٣٩- الجامع لأحكام القرآن ٢١٥/١٨ وفتح القدير ٤١٩/٦ .
١٤٠- ينظر : النكت والعيون ٥٥/٦ والفخر الرازي ٦٢/٣٠ والجامع لأحكام القرآن ٢١٥/١٨ والبحر المحيط ٢٦٦/١٠ وروح المعاني ١٨/١٥.
١٤١- تفسير اللباب ٢٤٧/١٩ .
١٤٢- التحرير والتنوير ٢١٨/١٥
١٤٣- ينظر : الفخر الرازي ٥٩٢/٣٠ والكشاف ٥٨٠/٤ والبحر المحيط ٩٨/٧ وتفسير اللباب ٢٤٧/١٩.
١٤٤- أضواء البيان ٣٨٠/٢.
١٤٥- روح المعاني ١٩/١٥.

الخاتمة

ذهب الكوفيون إلى أنّ حروف الجر في العربية ينوب بعضها عن بعض فقوله تعالى: (ولأصلّبنَّكم في جذوع النخل) معناه على جذوع النخل، على حين ذهب البصريّون إلى أنّ أحرُف الجر لا ينوب بعضُها عن بعض، وما أوهم ذلك فهو عندهم على تضمين فعل التصليب معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، أو يكون التركيب مؤولا تأويلاً يقبله اللفظ، فقالوا: شُبّه المصلوب لتمكُّنه من الجذع بالحالّ في الشيء.

والبحث محاولة لنقض النيابة الحرفية في القرآن الكريم وذلك برد الرأي الكوفي القائل بالنيابة الحرفية ونقض الرأي البصري القائل بالتضمين، وعضد البحث فكرته الرئيسة هذه بسرد أقوال المفسرين والنحويين في اثنتي عشرة آية قرآنية وجّه فيها حرف الجر (في) بأنه نائب عن حرف الاستعلاء (على)، ففنّد البحث القول بهذا النمط من النيابة الحرفية مرجحا بقاء حرف الجر (في) على بابه الرئيس من الدلالة على الظرفية الحقيقية أو المجازية ، ففي قوله تعالى : (ولأصلّبنَّكم في جذوع النخل) خلص البحث إلى أنّ المراد بالجذوع أسافل النخل لا سيقانها الضخمة التي تحمل الرأس ومن ثم يكون التصليب فيها ظاهرا حقيقة دونما مجاز ولا تضمين أو تحوّل في مدلول حرف التعدية . وأما تلك السيقان الضخمة التي يعتمد عليها رأس النخلة فقد سمّاها القرآن الكريم أعجاز النخل كما في مشاهد القصص القرآني لهلاك قوم عاد في سورتي [القمر: ٢٠] و [الحاقة: ٧]. والله وليّ التوفيق يفعل ما يشاء ويحكُم ما يريد.

مصادر البحث ومراجعه

* الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط٣، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

* أحكام القرآن، أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق البغدادي المالكي الجهضمي (المتوفى: ٢٨٢هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، دار ابن حزم – بيروت.
* أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.
الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي، المحقق: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية بدمشق ،١٤١٣– ١٩٩٣.
* الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.
* أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم ، اعتنى به الشيخ صلاح الدين العلايلي ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت١٩٩٦م
* إعراب القرآن، أبو جعفر (المتوفى: ٣٣٨هـ) ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ
* أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) ،دار الجيل – بيروت ،الطبعة الخامسة، ١٩٧٩.
*أيسر التفاسير ، أبو بكر الجزائري ، الرياض .
*البحر المحيط في التفسير : أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، عناية : الشيخ زهير جعيد ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م .
*البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة الحسني ت ١٢٢٤هـ تحقيق عمر أحمد الراوي دار الكتب العليمة بيروت ٢٠١٠م .
* بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت٣٧٥هـ)، تحـ : د . محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت ، د . ط ، د . ت.
* البرهان في علوم القرآن : للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي و شركائه ، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م
* التبيان في تفسير القران : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحـ : احمد حبيب قصير العاملي ط١ ، بيروت ٢٠١٠ .
* التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ٢٠٠٠م .
* تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ابو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢ هـ) ، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠١٠
* تفسير البغوي المسمى معالم التنـزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
* التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار العماد، دمشق،٢٠١٣م
* تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٨٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠٠٨.
* التبيان في اعراب القران : ابو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) تحـ : علي محمد البجاوي –دار احياء الكتب العربية – (د.ت) .
* تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم) ،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، تحقيق: طارق فتحي السيد ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م .

* تفسير ابن أبي حاتم ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة - ١٤١٧ هـ.
* تفسير الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (المتوفى: ١٦١هـ) ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م
* تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الإمام محمد الرازي فخر الدين المشتهر بخطيب الري ت ٦٠٤ هـ ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م.
* تفسير القرآن ،أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) ، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد – الرياض ،الطبعة الأولى، ١٤١٠
* تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)،المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م
* تفسير القرآن العظيم ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ) ، إشراف محمود عبد القادر الأرناؤوط ، ط٥ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
* تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ،المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ،دار ومكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٠هـ
* تفسير مجاهد ،أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ) ، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ،الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ،الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
* تفسير مقاتل بن سليمان ،أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ، تحقيق: أحمد فريد ،دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م .
* تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ .
* التفسير الوسيط للقرآن الكريم : محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر، القاهرة ، ط١، ١٩٩٧-١٩٩٨.
* تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ،الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان .
* تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى،٢٠٠١م
* جامع الدروس العربية ، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المتوفى: ١٣٦٤هـ) ،المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م
*جامع البيان عن تأويل القران : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، طبعة مقابلة على الأجزاء المطبوعة بتحقيق الأستاذ محمود شاكر ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢
* الجامع لأحكام القران : أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، خرج أحاديثه محمد بن عيادي بن عبد الحليم ، مكتبة الصفا ، الدار البيضاء ٢٠٠٥م .
* جمهرة اللغة ،أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) ، المحقق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م
* الجنى الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ) تحـ : د. طه محسن ، مطابع دار الكتب ، الموصل ١٣٩٦ هـ /١٩٧٦ م .

* جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) ، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين
الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت .
* الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) ، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ
* حروف المعاني ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق : د.علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٩٨٤
* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ،الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة
الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م
* الخصائص ،المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الطبعة: الرابعة
* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،السمين الحلبي ،تحقيق أحمد محمد الخراط ،دار القلم
*ديوان امرئ القيس ،امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥م) ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ،الناشر: دار المعرفة – بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ .
* روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ،الناشر: دار الفكر – بيروت
* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، المحقق: علي عبد الباري عطية ،دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
* زاد المسير في علم التفسير ،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ،المحقق: عبد الرزاق المهدي ،دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ
* شرح الاشموني على الفية ابن مالك ، الاشموني (نور الدين ابو الحسن علي بن محمد ت ٩٢٩ هـ) دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .
* شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري (خالد بن عبد الله ت ٩٠٥ هـ) المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٥٣ .
شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاستربادي ، القاهرة ، ١٣٠٥ هـ .
* شرح كتاب (مقدمة في أصول التفسير) لابن تيمية ، محمد بن عمر ، الرياض ، ١٤٢٣هـ.
* الصحاح ، معجم الصحاح قاموس عربي عربي مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ) ، اعتنى به خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ،٢٠٠٨ م.
ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، محمد عبد العزيز النجار ،مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
* غريب القرآن ،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) ،المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م
* غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (المتوفى : ٣٣٠هـ)، المحقق : محمد أديب عبد الواحد جمران ،الناشر : دار قتيبة ،سوريا الطبعة : الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ،دار الفكر – بيروت
* القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت٨١٧هـ) ، إعداد وتقديم محمد عبد الحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، ط١ ، دار الفكر ، ١٩٧٧م
* الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي ت ٤٢٧هـ ، تحقيق سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ .
* اللباب في علوم الكتاب ، الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (٨٨٠هـ) ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١١ .
* لسان العرب ، الإمام العلامة ابن منظور (ت٧١١هـ) ، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت .
* مجاز القرآن ،أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠ هـ) ،علق عليه د. محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دط ، دت .
* مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) ،المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة - بيروت، لبنان
* مجمع البيان في تفسير القران : ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) – الطبعة الثانية – دار الكتاب ، ودار الفكر – بيروت ١٣٧٧هـ ، ١٩٥٧م .
* مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ،عالم النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق ابن عطية ت٥٤١هـ تحقيق احمد صادق الملاح ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٩٧٤ م .
* المحكم والمحيط الأعظم :علي بن اسماعيل (ابن سيده ت ٤٥٨هـ) ،تح جماعة ،القاهرة ، ١٩٧٢م.
*معاني الحروف ،علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ) .
*معاني القرآن ، الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة البصري (٢١٥هـ) ، تحقيق : د. فائز فارس ، ط٣،دار البشير، دار الأمل،١٤٠١هـ ١٩٨١م .
* معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (٢٠٧هـ)، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور ،١٩٥٥م .
معاني القرآن ،أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ) ، المحقق: محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى - مكة المرمة ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.
*معاني القران وإعرابه : أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ) – شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .
* مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، حققه وفصّله وضبط غرائبه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة .
* المفردات في غريب القران : لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت) .

*النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠هـ) ، تحقيق : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧
* الكتاب : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت١٨٠هـ) – تحـ : عبد السلام هارون – الطبعة الثالثة – الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م .
* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ .
* الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي
الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢م
* لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) ، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ .
* لسان العرب ، ابن منظور ، المحقق : عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ،دار النشر : دار المعارف ، البلد : القاهرة .
* النحو الوافي ، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ) ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة عشرة
* نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ،تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤١٥، هـ - ١٩٩٥م .
* نقض تناوب حروف الجر في القرآن الكريم (بحث) منشور في مجلة كلية الآداب الجامعة المستنصرية ، العدد ٥٧ لسنة ٢٠١٥.
* النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠هـ) ، تحـ : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧ .
*همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية – مصر .
* الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن (ت٤٦٨هـ) ، تحـ : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ .
* الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ،حقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ،قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م .